

آية الله السيد علي الخامنئي عرفته الساحة الإسلامية العالمية مفكراً ومجاهداً ورائداً من رواد النهضة الإسلامية الحديثة، ويرجع تاريخ نضاله الفكري والسياسي إلى أكثر من ربع قرن من الزمن فقد ساهم بشكل فعال بانتفاضة حزيران عام 1963 والتي قادها الثائر الكبير الإمام السيد روح الله الخميني ضد الاستبداد الشاهنشاهي، وضد الوجود العسكري الأمريكي داخل إيران، وضد النفوذ الصهيوني والذي كان يزحف داخل إيران لتحويلها إلى مستوطنة صهيونية.

وتعرض السيد الخامنئي للسجن والتعذيب من قبل سلطات الشاه لفترات طويلة، وبعد إطلاق سراحه مارس في السبعينات النضال الفكري لأنه يرى أن وسائل التوعية العقائدية القائمة على أساس الثقافة الإسلامية تسرع بعملية الصراع ضد نظام الاستبداد الشاهنشاهي، وتعجل بانهيار الأساس الذي يرتفع فوقه عرش الطاووس. وفي نفس الوقت، تدفع التوعية العقائدية بالجماهير الإيرانية إلى الإلقاء بكل ثقلها المادي والمعنوي لإسقاط النظام الفاسد، واستبدالها بواقع سياسي واجتماعي مبني على أسس العقيدة الإسلامية.

إنّ رؤية آية الله الخامنئي ساهمت في استرجاع إيران حريتها واستقلالها عبر الثورة الشعبية التي أطاحت بالشاه في شباط من عام 1979، والتي أقامت دولة العدالة الاجتماعية الإسلامية وأنهت الهيمنة الأمريكية على إيران من النواحي الاقتصادية والعسكرية والثقافية، وحطمت الأحلاف التي كان الشاه يخنق بها الشعب الإيراني والشعوب الإسلامية كحلف المعاهدة المركزية والحلف الثنائي مع الكيان الإسرائيلي والمعاهدات العسكرية مع الدول الغربية.

لقد أثر آية الله الخامنئي منذ توليه رئاسة الجمهورية، في عام 1981 الاتصال الشخصي المباشر بالشعب، وإنقاذ الجمهورية الإسلامية الفتية من الحروب الأهلية التي كانت تنفذها العناصر الإرهابية والانفصالية وفي طبيعتها المجموعات الانفصالية الكردية ومنظمات اليسار الانتهازي والمجموعات المناقفة المرتبطة بالدول الاستعمارية.

كما نجح سماحته في لملمة القوات المسلحة الإيرانية ودفعها إلى خوض معارك كبرى تم فيها طرد القوات العراقية الغازية والتي كانت تحتل عشرات الآلاف من الكيلومترات المربعة من الأراضي الإيرانية وعددًا من المدن الكبيرة.

أما أهم محطات حياة آية الله الخامنئي فهي:

وُلد آية الله الخامنئي في مدينة مشهد بشمال إيران عام 1939 في عائلة دينية معروفة، وتلقى تعليمه الأولي هناك، وفي عام 1956 رحل إلى جامعة النجف بالعراق وأمضى عاماً فيها، وانتقل بعد ذلك إلى مدينة قم ودرس عند كبار مجتهدي الأصول والفقه والتفسير تلك العلوم الإسلامية، وبعد انتفاضة حزيران عام 1963 ضد سلطات الشاه تعرض للسجن لمدة ثلاث سنوات.

وفي عام 1978 قامت السلطات الشاهنشاهية بنفيه إلى أسوء مناطق إيران من الناحية المناخية وقضى فيها عاماً واحداً.

قام في السجن بتأسيس خلايا ثورية ساهمت بشكل فعال فيما بعد بتفجير الانتفاضة ضد الشاه والتي استمرت من عام 1978 وحتى شباط عام 1979. وبعد انتصار الثورة الإسلامية صار عضواً في مجلس الثورة ثم نائباً لوزير الدفاع فقائداً لحرس الثورة الإسلامية. وفي عام 1980 انتخب عضواً في مجلس الشورى الإسلامي.

وفي عام 1981 تعرض آية الله الخامنئي إلى حادث اغتيال من قبل المجموعة التي تطلق على نفسها اسم (مجاهدي خلق) وأسفر حادث الاغتيال عن إصابته بجروح بليغة في صدره وبديه، ومازالت آثار الإصابات موجودة في يده اليمنى.

بعد حادث اغتيال محمد علي رجائي والذي كان يشغل منصب رئاسة الجمهورية رشّح آية الله الخامنئي نفسه لشغل المنصب وبعد عملية اقتراع حر فاز بأغلبية الأصوات وأعيد انتخابه في عام 1985 من قبل الشعب الإيراني لشغل المنصب مرة أخرى.

زار أثناء تولّيه منصب رئاسة الجمهورية، العديد من بلدان الشرق الأوسط والشمال الأفريقي والدول الثورية في أفريقيا وآسيا، وحضر مؤتمر قمة دول عدم الإنحياز في زيمبابوي.

وقد طرح آية الله الخامنّي في تلك الزيارات موضوع تمتين العلاقات التجارية والثقافية ومسألة التعاون الاقتصادي بين دول عدم الانحياز والوقوف بحزم أمام السياسة الأمريكية التوسعية وأمام احتلال الصهيونية للأراضي الفلسطينية والعربية وضرورة محاصرتها اقتصادياً وسياسياً. ويعتبر خطابه في مؤتمر قمة دول عدم الانحياز بمثابة نظرية سياسية لحل مشاكل العالم، ووثيقة مهمة عالجت مختلف جوانب الوضع الدولي ووضعت له العلاج الشافي.

لقد اثبت آية الله الخامنّي بهذا التحديد الواضح للفكر والمواقف والسياسات حيوية الإسلام ويقظته وقدرته الهائلة على حماية مصالح الطبقات المحرومة وإنقاذ الأمم والدول الرازحة تحت نيران الاستعمار. كما أثبت مقدرة الإيمان على تحصين البشرية ضد تسلل أفكار الرأسمالية والشيوعية والإلحادية وغزوها فهو يقول:

(لنعتمد على الله، ولنستمد العون منه، ولنطبق القيم الإلهية في المجتمع، ولنوجه الطاقات الشعبية العظيمة، وفي هذا الحال سيتحقق اقتلاع كل جذور الاستعمار والاستثمار والاستكبار والإلحاد خلال مدة أقصر من المتصور، عقد الآمال على الشمال انحراف، والتلفت صوب الغرب والشرق غير مجد، يجب أن تنشأ أنظارنا نحو السماء، نحو قمم المعنوية السماء والقيم الإلهية)[1].

وبعد رحيل الإمام الخميني إلى الفردوس الأعلى تم انتخاب آية الله الخامنّي قائداً ومرشداً للثورة الإسلامية والسيد الخامنّي يجيد اللغة العربية والتركية وله عدة دراسات وكتب مطبوعة.

[1] آراء الجمهورية الإسلامية الإيرانية حول القضايا العالمية/ص 45.

ظهر إلى الوجود بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران ثلاثة تيارات سياسية وفكرية هي:

أولاً: تيار الثورة الإسلامية العالمية. وتقوم الأسس الفكرية والسياسية لهذا التيار على تجذير الثورة داخل الشرائح الاجتماعية ذات الدخل المحدود والمتوسط والاعتماد عليها بشكل كلي في الحفاظ على استمرارية الثورة وتجذير الثقافة الإسلامية الأصيلة، عند مليار مسلم يسكنون في القارات الخمس، ومن أبرز وجوه هذا التيار آية الله السيد علي الخامنئي والدكتور محمد حسين البهشتي والدكتور محمد جواد باهنر وحجة الإسلام علي أكبر الهاشمي الرفسنجاني والمفكر الإسلامي مرتضى المطهري والدكتور محمد مفتاح وإزاء خطورة قادة هذا التيار على المصالح الغربية والاستعمارية في المنطقة النفطية وفي منطقة الشرق الأوسط نفذت وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية خطأً ناجحة لاغتيال هذه الشخصيات.

فتعرض المفكر المطهري لإطلاق رصاص أودى بحياته، وكذلك الدكتور مفتاح، وانفجرت قبيلة في مقر الحزب الجمهوري الإسلامي مما أدى إلى استشهاد الدكتور بهشتي وأصيب حجة الإسلام الرفسنجاني برصاص الغدر ولكنه نجا من الموت، كما نجا آي الله الخامنئي من الموت بأعجوبة بعد حادث انفجار أثناء إلقائه خطاباً في أحد مساجد طهران.

ثانياً: تيار يدعو إلى العلمانية ويدعو إلى إنهاء دور الثورة وإقامة دولة لها صلاة وثيقة مع الدول الغربية؛ (إيران ليس باستطاعتها الاستغناء عن الثقافة الغربية ولا عن تكنولوجيتها المتقدمة) حسب رأيه، ومن أبرز وجوه هذا التيار المهندس مهدي بازركان وصادق قطب زادة وعباس أمير انتظام وأبو الحسن بني صدر، وقد انتهى هذا التيار وسقطت وجوه قاداته بعد أن رفضهم الشعب الإيراني واختار الأيديولوجية الإسلامية.

ثالثاً: تيار اليسار الطفولي والانتهازي، وهذا التيار حاول وضع العصي في عجلات الثورة، وشهر السلاح بوجهها وهي في الأشهر الأولى لانتصارها، ومن أبرز حركات هذا التيار:

1. منظمة مجاهدين خلق

2. منظمة فدائيان خلق

3. الحزب الديمقراطي الكردستاني (كومله) بزعامة قاسملو

وتعرضت هذه الحركات لانتكاسات كبرى بسبب اعتداء أعضائها على بعض الشرائح الاجتماعية الفقيرة وتنفيذها للعديد من التفجيرات في شوارع طهران والأحياء الفقيرة.

وعلى الطرف الآخر، سعى آية الله الخامنئي منذ تسلمه منصب رئاسة الجمهورية إلى حل المشاكل الاجتماعية التي أوجدها النظام الشاهنشاهي، ومن أبرزها مشاكل الإسكان والتعليم والصحة والاعتناء بالقرى وإصلاح الأراضي الزراعية، وقد جاء في إحصائية رسمية أن الدولة قامت بتملك أكثر من أربعمئة ألف عائلة دوراً سكنية في المحافظات والمدن الكبيرة حتى شهر نيسان عام 1989، وساهمت في بنائها مؤسسة الثورة الإسلامية للإسكان ومصرف السكن ومؤسسة المستضعفين وكلفت الميزانية العامة للدولة أكثر من أربعة مليارات دولار.

وتم إنشاء عشرات الآلاف من المدارس في القرى والمدن الإيرانية والمعاهد المتوسطة والفنية والحرفية وعشرات الكليات في مختلف المدن الإيرانية. وكانت سياسة آية الله الخامنئي تركز في هذا المجال على بناء البلد وإعمارها ليصبح نموذجاً تحتذي به الشعوب الإسلامية، ويصبح فيه المواطن ضامناً للقمة العيش والسكن والتعليم والصحة ويستطيع الدفاع عن الوطن من الاعتداءات الخارجية.

وقد تجلّى هذا الدفاع في سنوات الحرب، وأخذت الجماهير تتدافع نحو ساحات القتال لدحر الغزاة، وتعد معارك تحرير مدينة خرمشهر من أهم الحروب التقليدية المحدودة التي وقعت في المنطقة الخليجية وذلك لعمق النتائج التي حققتها والتي تمثلت بالآتي:

أولاً: أثبتت معارك تحرير خرمشهر أن النصر يعتمد على الحالة المعنوية السياسية والأخلاقية والفكرية للجماهير المستعدة للتضحية بدمائها في ساحات القتال وليس على الجيش الذي يستورد السلاح المتطور والجاهز للاستخدام دون أن يمتلك الأفراد المؤمنين بأهداف الحرب والفاقدين للروح القتالية والثقة بالمستقبل.

لقد استطاعت القيادة الإسلامية بناء قوات شعبية في فترة زمنية قياسية، وجعلت منها مدرسة عقائدية تتعمق في داخلها المعارف الإلهية، والثقافة الإسلامية وروح الاستشهاد والتضحية واعتمدت القيادة الإسلامية على الإنسان قبل كل شيء لأن الإنسان بفعله وإرادته ومعارفه هو الذي يحدد مصير المعارك. وبقدر ما يرتفع مستوى الوعي العقائدي والإيماني لديه يكون استخدامه لوسائل الصراع التي وضعت تحت تصرفه أكثر فعالية.

ومن هذا المنطلق خاضت المجموعات الإيمانية أعمالاً قتالية في معارك شوش . ديزفول في آذار عام 1982 واستطاعت طرد القوات المعتدية من هذه المنطقة الاستراتيجية، وأسر ما يزيد على ثمانية عشر ألف جندي وضابط عراقي والاستيلاء على مئات الدبابات وآلاف المدافع والعربات المصفحة وأجهزة الاتصالات.

وخاضت المجموعات المشحونة بالإيمان أعمالاً قتالية في هجومها على مواقع الخصم في مدينة خرمشهر الاستراتيجية، وتميزت تلك الأعمال بالجرأة والفعالية وأثارت الذعر في صفوف القوات العراقية، وتقدمت بجرأة واندفاع في أعماق قوات الخصم ونفذت مهاماً غطت الجبهة وسعت إلى بلوغ الهدف النهائي للعملية في فترة قصيرة، وتميز قتالها بالحزم بالرغم من أن القيادة العراقية اتخذت كل التدابير الممكنة لتطويق القوات المهاجمة وعزلها. وضمن هذا السياق ينقل أحد الصحفيين الذين قابلوا صداماً في بداية الهجوم لتحرير مدينة خرمشهر بأن صداماً أخبره أن القوات الإيرانية سوف تباد بالكامل! وهي لا تستطيع اختراق الخطوط الدفاعية العراقية وقد اتخذنا التدابير التالية لدحر الإيرانيين وهي:

أ. تشويش أنظمة قيادة القوات المعادية.

ب. تقييد أعمال العدو الجوية بشكل خاص وذلك عن طريق إنشاء نظام دفاع جوي قوي جداً.

ج. تدمير وسائط العدو ذات المدى المتوسط والبعيد.

ولكن على عكس تصورات القيادة الصدامية فإن القوات الإيرانية استطاعت . بزم من قصير . اجتياز مختلف العوائق وحقوق الألغام التي وضعتها القوات المعادية في منطقة العمليات الحربية، وفتحت ثغرات في دفاعات الخصم وحاصرت قواته فاستسلم منها أكثر من عشرين ألف عسكري بكامل أسلحتهم الثقيلة.

وفي ضوء ما تقدم، فإن القيادة الإسلامية أدخلت قانوناً جديداً على قوانين الاستراتيجية العسكرية الدولية ينص على أن المقاتل المشحون بالقيم الإلهية والإيمان الحقيقي هو الذي يحرز النصر في الحروب التقليدية والتي لم تُستخدم فيها الأسلحة الذرية أو الكيميائية أو الجرثومية.

ثانياً: إن معارك تحرير خرمشهر أفضلت الاستراتيجية العسكرية العراقية المرتكزة على أساس الاستمرار في السيطرة على المدينة ذات الأهمية الحيوية، والاحتفاظ بداخلها بقوة عسكرية كبيرة ولمدة طويلة لكي

تساعد القيادة السياسية العراقية على فرض شروطها، فالحرب هي صراع بين طرفين وهي جزء من كل والكل هو السياسة.

وضمن هذا الإطار يقول الخبير العسكري السوفيتي اللواء كوزتينوف في مجلة الفكر العسكري السوفيتية: (في الاستراتيجية العسكرية هناك مبدأ أساس ينص على تناسب الأهداف والمهام القتالية مع الأهداف السياسية للحرب). وبعد تحرير مدينة خرمشهر فقد صدام حسين أمله الضخم في تحقيق هدفه الأساس وهو النصر وبالتالي أن يصبح القوة الوحيدة في المنطقة النفطية وشرطيها القوي الذي باستطاعته المحافظة على المصالح الغربية مثلما كان يفعل شاه إيران قبل الإطاحة به.

ثالثاً: نسفت معارك تحرير مدينة خرمشهر الأحلام الأمريكية والإسرائيلية المبنية على أساس إقامة دويلة صديقة وموالية لهم في إقليم خوزستان الغني بالنفط، واختيرت لها خرمشهر لتكون عاصمتها.

رابعاً: نسفت معارك تحرير مدينة خرمشهر المقولات الاستعمارية القائلة أن ابتعاد إيران عن الغرب وتبنيها الأيديولوجية الإسلامية جعلها دولة ضعيفة وعاجزة عن رد العدوان واسترداد أراضيها المحتلة. وقد أثرت تلك المقولات في الرأي العام الإقليمي والدولي، ولكن معارك تحرير خرمشهر احبطت تأثير تلك المقولات، وفي المقابل أبرزت إلى الواقع العالمي حقائق جديدة لم يعد بالإمكان تجاهلها، وفي مقدمتها إعطاء زخم هائل للشعوب الرازحة تحت الاحتلال من أجل التصدي ودحر القوى الاستعمارية الغازية.

وقد تحدث آية الله الخامني عن ديناميكية الواقع العالمية الجديدة التي أفرزتها معارك خرمشهر بقوله:

(الاعتماد على القدرة الإلهية الخالدة والإيمان الراسخ بالجماهير درس آخر يقدمه الإسلام للشعوب والقادة، يشجعهم فيه على الصمود أمام القوى التسلطية العالمية، ويقوّي فيهم روح الأمل في النجاح. هذا الدرس الإسلامي الكبير تحقق مراراً في ماضي العالم وحاضره وتحوّل إلى تجربة مسلّم بها، أينما عمدت الشعوب أو القيادات إلى عدم إخلاء الساحة للتوسعات العدوانية وآلت على نفسها أن تتحمل الأخطار والمشاق، فإن كل آليات القدرة التي هي بيد الأقوياء قد أحبطت وكل الطرق أمام المعتدين قد أغلقت.

الحركات التحررية المنتصرة في العقود الأخيرة ولبنان وأفغانستان اليوم نماذج مجسدة لا تنسى لهذا الادعاء. ثورتنا الإسلامية الكبرى ترى سر نجاح تجربتها العظيمة في اعتمادها اعتماداً حقيقياً جاداً على قدرة الله الخالدة وعلى الجماهير، وفي ثقتها باندحار القوى المعارضة والمهاجمة.

إنّ النظام الحاكم في العراق قد غير نهجه وتقمص لبوس المطالب بالصلح تزامنا مع تحرير خرمشهر والهزيمة النكراء التي لحقت بالقوات المحتلة). [1]

إنّ القيادة الإسلامية مزجت بين الانتصارات في جبهات الحرب، والتخطيط الشامل لتطوير الصناعة والزراعة في البلاد، ومكافحة الفقر والبطالة ومحو الأمية وتنمية التعليم والثقافة في القرى والمدن الإيرانية. ويرى العديد من خبراء الاقتصاد في العالم أن الانتصار المهم الذي حققته الثورة الإسلامية في إيران على الجبهة التكنولوجية هو إفشالها المقولات الغربية القائمة على أساس عدم مقدرة إيران أو أي دولة من دول العالم الثالث الحديثة الاستقلال على إدارة المعامل الكبرى، نتيجة رحيل خبراء الغرب عنها وعدم مقدرة الخبرات المحلية على تحريك عجلة التقدم التكنولوجي في العهد الثوري الإسلامي، وسوف نلقي نظرة سريعة على التحول التكنولوجي في إيران خلال عهد الشاه والعهد الجمهوري:

لقد سادت إيران خلال العهد الشاهنشاهي نظرية تركز على أساس أن الدول الغربية هي السبّاقة إلى العصرية والحداثة وهي النموذج الأمثل الذي يجب الاقتداء به وتقليده، وساهم التبنّي الرسمي للنظرية ومقولاتها في تقبّل الهيمنة الغربية، وترسيخها اقتصادياً وفكرياً وثقافياً، وتسليم مقدرات البلاد للاحتكارات العالمية. وجاء استيراد التكنولوجيا الغربية ونقلها إلى إيران ضمن نمط جديد من أنماط التبعية الاقتصادية للدول الصناعية الغربية الكبرى.

وقد تجاهلت الخطط الإنمائية الشاهنشاهية في كل مراحلها إقامة اقتصاد وطني وتحقيق تنمية مستقلة، وسدت الأبواب أمام الطاقات الإيرانية المبدعة، وجعلت المواطن الإيراني عرضة للنهب، ولم تخفف عنه عبء الضائقة الاقتصادية، وعلى العكس فإن نقل واستيراد التكنولوجيا إلى إيران أوقعتها في شبكة التبعية، وورهن اقتصادها للاستعمار الأميركي وأحكم السيطرة الأمريكية على القرار السياسي الإيراني وجعلها محمية من محميات أميركا.

وتجاهلت عملية استيراد التكنولوجيا حاجة الأسواق المحلية والعالمية لتلك المنتجات، وضمن هذا الإطار يقول الأستاذ الصحفي المصري محمد حسنين هيكل في كتابه (خريف الغضب) ما نصه:

(كان شاه إيران ضمن أحلام العظمة التي أصابته في أواخر سنوات حكمه قد أمر بتوقيع عقد مع شركة مرسيدس تقوم إيران بمقتضاه بتجميع أوتوبيسات هذه الشركة في مصنع أقيم لهذا الغرض قرب طهران. لكن الإيرانيين ما لبثوا أن اكتشفوا أن تصريف هذه الأتوبيسات . رغم أنها تحمل علامة مرسيدس الشهيرة . مسألة بالغة الصعوبة. فأى مشترٍ في العالم كان بالطبع يفضل الأصل وبهمه أن يتعاقد رأساً مع الشركة الأصلية).

أما الهدف الأساس من نقل التكنولوجيا الغربية إلى إيران فهو التحكم الاجتماعي والسياسي حيث كان الشاه يسعى إلى تركيز السلطة والنفوذ عند القمة الحاكمة، ولم تستهدف عملية النقل بأي شكل من الأشكال رفاهية الشعب وتقدمه وتحسين الظروف الاقتصادية للبلاد. وتشير الإحصاءات الموثوقة إلى أن 67% من الدخل الإيراني في عام 1976 صرف في تحويل واردات من الخارج ومعظمها حاجيات استهلاكية وأسلحة، وأن 23% من الدخل القومي الإيراني كان يذهب إلى عائلة الشاه والعوائل القريبة من النظام، في حين كانت عشرات الآلاف من العوائل في الريف وفي المدن تعيش تحت سقف الفقر والحاجة.

وبعد انتصار الثورة الإسلامية في 11 شباط عام 1979 ظنت الحكومات الغربية أن المعامل الكبرى ستوقف عن العمل، وأن الفوضى ستشمل البلاد من جهاتها الأربع بسبب رحيل الخبراء الغربيين عن البلاد، وعلى هذا الأساس فأن بمقدور الحكومات الغربية فرض شروط مجحفة على الثورة الإسلامية من أجل عودة الخبراء إلى إيران، وبالتالي إعادة البلاد إلى ما كانت عليه في عهد الشاه، واستئناف السيطرة الغربية عليها اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً، ولكن الأيام أثبتت عدم صحة الرأي الغربي فبالرغم من الاستغناء عن الخبراء الأجانب وطرده أكثر من خمسين ألف خبير ومستشار عسكري ومدني أميركي من إيران فقط ظلت المعامل الكبرى تسجل نمواً وارتفاعاً في الإنتاج كما ونوعاً. ومن الأسباب التي أدت إلى هذا النجاح:

أولاً: شجعت القيادة الإسلامية الطاقات الإبداعية المحلية، وقدمت لها كل مستلزمات التطوير.

ثانياً: قامت القيادة الإسلامية بتنشيط البحث والتطوير التكنولوجي سواء في المعاهد الصناعية أو في المعامل. وتنمية القوى العاملة وبالذات في الأطر الوسطى، وفتح المجال أمام تطلعاتها التقنية والاهتمام بمتطلباتها المعيشية.

ثالثاً: توثيق العلاقة بين الجامعات والصناعة على صعيد رسم الاستراتيجيات والسياسة الاقتصادية والصناعية في البلاد وضمن هذا الإطار يقول آية الله الخامنئي (إنّ الجامعات ومراكز البحوث ستكون في المستقبل مراكز لاتخاذ القرار وتقديم الحلول الناجحة لمشاكل البلاد، طبعاً لدينا بعض المشاكل ونحن نتقدم في اتجاه حلها فثمان سنوات من الحرب ليست بالأمر السهل).

رابعاً: اتخاذ خطوات مهمة لتسريع عملية التحول التكنولوجي من أيدي خبراء الغرب إلى أيدي الطاقات المحلية، وأضحى التقدم التكنولوجي على رأس اهتمامات آية الله الخامنئي فهو يقول للعمال الفنيين وللكادر المتخصص في إدارة المعامل: (لكي يحسب العالم حسابكم يجب تعزيز قوتكم ولكي يضطر العالم لاحترام عزة وكرامة الشعب الإيراني يجب على الشعب أن يعتمد على قدراته الذاتية ويجب تعزيز طاقاتكم العلمية والاقتصادية وطاقته العمل، والقدرة الدفاعية العسكرية، فاحفظوا هذه القوة الهائلة الناتجة عن الاعتماد على الذات)[2].

إنّ الكلام الإنشائي لا يمكن الاستعانة به وحده في مثل هذه الدراسات لذلك سوف نستعين بالاحصاءات لتوضيح التقدم الذي طرأ على الإنتاج في المعامل الكبرى خلال العقد الأول من العهد الجمهوري بالرغم من الاستغناء عن الخبراء الأجانب وفرض الدول الصناعية الكبرى حصاراً اقتصادياً شمل قطع الغيار للمكائن، وحجب المعلومات حول المشاكل التي تواجه استيعاب العملية التكنولوجية، وبالرغم من ظروف الحرب التي فرضتها الدول الغربية والنظام العراقي على الثورة الإسلامية والقيام بضرب المنشآت الصناعية وشبكات الكهرباء، وانخفاض أسعار النفط في الأسواق العالمية إلى أقل من (18) دولاراً للبرميل الواحد مما تسبب في إلحاق خسائر كبيرة في الاقتصاد الإيراني قدرت بحوالي (6) مليارات دولار سنوياً، وبالرغم من كل تلك المشاكل سجلت المعامل والمجمعات الصناعية زيادة في الإنتاج كانت على الشكل الآتي:

أولاً: مجمعات الحديد والصلب

تأتي صناعة الفولاذ في إيران بعد الصناعات النفطية، وتعتبر إحدى الركائز الاقتصادية المهمة في البلاد وإحدى دعائم ازدهار الصناعات التكنولوجية الأخرى. وكانت إيران تستورد 2/3 من احتياجاتها من الحديد والصلب في عهد الشاه، فبلغ حجم الاستيراد عام 1978 أكثر من ثلاثة ملايين وسبعمئة ألف طن أي حوالي 80% من احتياج إيران، وفي بداية الثورة الإسلامية وصل إلى ثلاثة ملايين طن. وفي عام 1981. 1982 وصل حجم استيراد الفولاذ إلى مليوني طن ثم أخذ بالانخفاض التدريجي وقد حددت الخطة الخمسية 1984 . 1989 وصول إنتاج الفولاذ إلى سبعة ملايين طن وتوجد في إيران ثلاثة مجمعات للحديد والصلب هي:

أ. مجمع صهر الفولاذ في أصفهان: تأسس هذا المجمع عام 1965 إثر اتفاق بين مؤسسة صهر الحديد الإيرانية وشركة تياج بروم اكسبورت السوفيتية وبدأ المجمع بالإنتاج عام 1973 فأنتج في تلك السنة (30) ألف طن من الحديد وفي عام 1975 وصل إنتاجه إلى (50) ألف طن، وانخفض الإنتاج خلال عام 1978 إلى (20) ألف طن وإزاء اهتمام القيادة الإسلامية بالصناعات فقد ارتفع الإنتاج حتى وصل في العام 1984 . 1985 إلى (700) ألف طن وبالرغم من قصف طائرات صدام للمجمع عدة مرات فإن الإنتاج قفز إلى حوالي مليوني طن عام 1988.

وكان عدد العمال والفنيين في المجمع حوالي (7) شخص بينهم عدد من الخبراء والفنيين الأجانب، وفي عام 1984 . 1985 وصل عدد العمال والفنيين والخبراء (35) ألف شخص وكلهم من الإيرانيين. وقد وفرت لهم القيادة الإسلامية مكاتب لتثقيفهم بالثقافة الإسلامية، وأنشأت لهم مجمعات سكنية وبنيت لهم المدارس والمستشفيات، وجعلت الضمان الاجتماعي مكفولاً لهم بالتساوي.

ب. مجمع فولاذ الأهواز: وقد افتتح في العهد الجمهوري وبدأ بالإنتاج عام 1983 حيث أنتج في تلك السنة حوالي مائتي ألف طن من أنواع الأميال الفولاذية وقضبان الحديد المتنوعة القياس والاسلاك الشائكة والشبابيك الفولاذية، ويعمل في المجتمع خمسة عشر ألف عامل ومهندس وخبير وكلهم من الإيرانيين، وقد سجل المجمع ارتفاعاً في الإنتاج بلغ ستمئة ألف طن في عام 1987 . 1988، وتعرض المجمع المذكور للقصف من قبل طائرات النظام العراقي، وقُتل مئات العمال والمهندسين.

ج . مجمع مباركة: وضع حجر الأساس للمجمع عام 1977 في مدينة بندر عباس، وأخذت شركة حكومية إيطالية تسمى (ايتاليوم بيانتي) على عاتقها بناء المجمع وتشغيله بكلفة قدرها مليار دولار، وبعد انتصار الثورة الإسلامية توقف العمل في المجمع بسبب اقتراح الخبراء الإيرانيين بعدم صلاحية إقامة المجمع في بندر عباس نظراً لرخاوة الأرض وزيادة رطوبة الجو وغيرهما من الأمور التقنية، ونقلت المعدات إلى المنطقة بالقرب من مدينة اصفهان، وأقيم هناك مجمع مباركة وعلى مساحة (34) كيلومتر مربع. وفي آذار عام 1983 افتتح المجمع وبدأ بالإنتاج. وفي عام 1984 . 1985 قدرت كمية الإنتاج بحوالي مئتين وخمسين ألف طن طاقته الإنتاجية تبلغ مليونين واربعمائة ألف طن ويعمل فيه خمسة عشر ألف عامل ومهندس وخبير، وتعتبر أجهزة المجمع من أحدث الأجهزة الأوتوماتيكية، وهي تعمل في عدة مراحل وبصورة ذاتية.

وفي عام 1983 . 1984 تمكن الخبراء الإيرانيون من صنع كابسة للفولاذ تعمل بطريقة الصب وبصورة ساخنة، وصناعة المكابس تحتاج إلى تكنولوجيا متقدمة وحديثة وقد توصل إلى صناعتها المهندسون والخبراء الإيرانيون إثر دراسات عديدة، ووصل إنتاج الكابسات إلى عشرة آلاف كابسة عام 1986 وتحتاج إيران إلى خمسة عشرة ألف كابسة.

ثانياً: مجمع سرجشمه للنحاس

أنشئ هذا المجمع في العهد الشاهنشاهي، وكان يدار من قبل الخبراء الغربيين، وينتج كميات محدودة من النحاس، فقد كان إنتاجه يبلغ عشرين ألف طن في عام 1976 وبعد انتصار الثورة الإسلامية أضحى المجمع يدار من قبل الخبراء والفنيين الإيرانيين، وسجل الإنتاج ارتفاعاً كبيراً فوصل إلى مئة وخمسة وخمسين ألف طن عام 1983. 1984 وخلال عام 1986 . 1987 وصل الإنتاج إلى مئتي ألف طن.

وبالإضافة إلى إنتاج النحاس فإن المجمع انتج في العهد الجمهوري معادن ثمينة كالذهب والفضة والنيكل فانتج حوالي خمسمئة كيلو غرام من الذهب و(45) طناً من الفضة خلال عام 1985 . 1986، وتشير إحصائيات عام 1987 إلى أن المجمع المذكور يضم ستة عشر ألف عامل وفني وخبير، وقد بني المجمع بالقرب من مناجم سرجشمه في محافظة كرمان، ويعتبر رابع منجم في العالم، ويحتوي على تسعة ملايين طن من النحاس النقي و850 مليون طن من أحجار النحاس ذات عيار 1/12%0

ثالثاً: معمل إنتاج طائرات الهليكوبتر

تأسس المعمل في العهد الشاهنشاهي على يد خبراء وفنيين أميركيين، وكان المعمل ينتج قطع غيار طائرات الهليكوبتر وقد وصلت اليد العاملة الأمريكية في هذا المعمل إلى أكثر من 40% في عام 1977 وبعد انتصار الثورة الإسلامية صار يدار من قبل الخبراء والفنيين الإيرانيين، وتطور المعمل حتى أضحى ينتج طائرات الهليكوبتر وقطع غيارها.

وقد زار المصنع آية الله الخامنئي في عام 1986 وقال:

(إنّ صناعة طائرات الهليكوبتر قطعت . بعد نجاح الثورة الإسلامية . خطوات واسعة نحو بلوغ الاكتفاء الذاتي، وسوف نقوم بتصدير هذه الطائرات وقطع غيارها إلى الدول النامية في المستقبل القريب، وأن تقدم الصناعات الثقيلة في البلاد تم بفضل مثابرة القوى الإنسانية المتخصصة ورغبتها في العمل الدؤوب).

رابعاً: معامل صناعة السيارات

كانت بداية هذه المعامل في أوائل السبعينات منحصرة في التجميع وتعتمد على الأجهزة وقطع الغيار والمكائن المصنعة في الدول الغربية والتي تُرسل إلى إيران، وكانت تلك المعامل تضم عدّة آلاف من الخبراء الأجانب، وبعد نجاح الثورة الإسلامية بدأت الكفاءات والطاقات المحلية مكانها الطبيعي في المصانع، ومن هنا أخذت تنتج قطع الغيار التي انقطعت عن البلاد بسبب الحصار الاقتصادي المفروض من قبل الدول الصناعية الكبرى.

وفي نفس الوقت تم إنشاء مصنع في مركز محافظة جيلان لإنتاج المولدات (الداينمو) خلال عام 1980 . 1981 وفي أوائل عام 1984 بدأ المصنع ينتج المولدات إلى جانب قطع البلاطين، ووصل الإنتاج في عام 1985 . 1986 إلى (180) ألف مولد و(980) ألف قطعة بلاطين. وقد سد الإنتاج 95% من احتياجات شركة خدرو لصناعة السيارات، أما المعامل الرئيسة المنتجة للسيارات فهي:

1. إيران خدرو (إيران ناسيونال سابقاً): كان إنتاج الشركة من السيارات المجمعة خلال عام 1977 . 1978 حوالي ستة آلاف سيارة صغيرة وألفي وخمسمئة سيارة باص. وفي ظل العهد الجمهوري ارتفع

الإنتاج حتى وصل إلى أربعة وستين ألف سيارة صغيرة وأربعة آلاف ومائتي سيارة باص خلال عام 1983 .
1984 وارتفع الإنتاج في عام 1985 . 1986 إلى ثمانين ألف سيارة وستة آلاف باص .

2. معمل زامباد: كان إنتاج المعمل في العهد الشاهنشاهي مقتصرًا على تجميع الباصات الصغيرة ذات 18 مقعداً، ووصل إنتاجه في عام 1976 . 1977 إلى ألف وخمسمائة سيارة وبعد نجاح الثورة الإسلامية أخذ المعمل ينتج مختلف السيارات . ووصل الإنتاج إلى ألف سيارة صغيرة وألفي وأربعمئة باص وعشرة آلاف سيارة من نوع (بيكب) خلال عام 1984 . 1985، وارتفع إنتاجه إلى (60) ألف سيارة صغيرة و 4 آلاف باص في عام 1987 . 1988 .

3. معمل القدس: أنشئ المعمل في العهد الجمهوري بمدينة مشهد مركز محافظة خراسان وبدأ المعمل في الإنتاج عام 1984 حيث وصل إنتاجه في نهاية العام إلى (350) باصاً من النوع الكبير وارتفع الإنتاج إلى (600) باص في عام 1985 وفي عام 1987 وصل الإنتاج إلى (1700) باص، وتضم المعامل الثلاثة أكثر من مئة ألف عامل وفني وخبير وكل هذه الطاقات من الطاقات المحلية.

إنّ السياسة الصناعية والتكنولوجية في العهد الجمهوري حققت النتائج التالية:

أ . التنمية البشرية

إنّ الاحصاءات الرسمية تشير إلى تحسين الأوضاع المعيشية لعدة ملايين من العمال، وعلى هذا الأساس تم تقليص التفاوت الطبقي داخل المجتمع الإيراني بعد أن كان الشاه قد عمل على إيجاد طبقتين: رأسمالية فاحشة الغنى . وفقيرة محرومة من أبسط مستلزمات الحياة .

وخلال عشرة أعوام من المسيرة التنموية في العهد الجمهوري برزت إلى الوجود طبقة وسطى تضم هؤلاء العمال إلى جانب عدة ملايين من الفلاحين والذين منحتهم الحكومة الإسلامية عشرات الآلاف من الهكتارات لزراعتها بعد أن وفرت لهم المياه والبذور والماكنات الزراعية .

وفي المقابل، أخذ العامل الإيراني يلتزم بالمؤسسة التي يعمل بها ويكرس لها وقته وطاقته في سبيل تقدمها ورفع وتيرة الإنتاج . وعلى الصعيد نفسه، تميزت المعامل الإيرانية الكبرى بانتشار الروح الجماعية فيها، فمعظم العمال الفنيين والخبراء والموظفين يشعرون بأنهم عائلة واحدة من خلال العملية التربوية والثقافية

والاجتماعية التي وفرتها لهم القيادة الإسلامية، عبر إنشاء المجمعات السكنية وبناء المكتبات وتنظيم الرحلات السياحية داخل إيران وخارجها.

ب . ازدهار الصناعات التكنولوجية: من خلال رفدها بالطاقات الذاتية وعلى هذا الأساس تم اجتياز الصعوبات الكبيرة والعواقب المختلفة وفي طبيعتها فرض الحصار الاقتصادي وظروف الحرب التي فرضها النظام العراقي وقيام سلاحه الجوي بالقاء مئات الصواريخ والقنابل على المنشآت الصناعية.

ج . خلق طاقات إبداعية متنوعة: أسفر تشجيع الحكومة الإسلامية لمراكز البحوث والدراسات في مختلف المجالات الصناعية عن خلق هذه الطاقات ومن هنا أثبتت القيادة الإسلامية على أن الشعوب الحية بإمكانها الاستغناء عن الخبرات الأجنبية وأعطت نموذجاً يحتذى به لدول عدم الانحياز وللدول حديثة الاستقلال، ومن هنا يقول آية الله الخامنئي:

(علينا أن نواصل طريقنا المستقل وأن لا ننحرف نتيجة للضغوط الاقتصادية المؤقتة. الجمهورية الإسلامية الإيرانية سارت بدورها خطوات في هذا الاتجاه، نحن فخورون بعدم اقتراضنا من أي بلد أجنبي بالرغم من كل الضغوط الاقتصادية الناجمة عن الحرب.

الجمهورية الإسلامية الإيرانية سعت لكيلا تضع نصب عينها نموذج مستورد في مجال التنمية الاقتصادية. بنوكنا اللاربوية المنطلقة من أوضح أحكام القرآن الكريم أسفرت عن نتائج ايجابية، لهذا فهي جديرة بأن تكون نموذجاً لسائر البلدان). [3]

[1] برجاء النظر إلى (آراء الجمهورية الإسلامية حول القضايا العالمية) ص 14 . 30.

[2] من خطاب آية الله الخامنئي بمناسبة عيد العمال العالمي، المنشور بصحيفة كيهان في 1990/5/2م.

[3] برجاء النظر إلى (آراء الجمهورية الإسلامية الإيرانية حول القضايا العالمية) ويتضمن نص خطاب آية الله الخامنئي في المؤتمر السادس لقمة عدم الانحياز/ ص 42.

ألقت الثورة الإسلامية في إيران بكل ثقلها مع الثورة الفلسطينية واعتبرت أن المخاطر التي تهدد الشعب الفلسطيني والأمة العربية تهدد أمنها الإسلامي، وعليها تقع مسؤولية الدفاع عن فلسطين. وضمن هذا الإطار يقول آية الله الخامنئي:

(إنّ تدعيم الكفاح والجهاد داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة سيكونان عاملين لتحقيق انتصار الثورة الفلسطينية وتحرير القدس الشريف وإلحاق هزيمة بالمشروع الصهيوني الاستيطاني).

وقد أثار انتصار الثورة الإسلامية خوفاً لدى المجتمع الصهيوني وقادته، وعبر عن هذا الخوف إسحاق رابين رئيس وزراء إسرائيل الأسبق بقوله (ينبغي الإسراع في معرفة كيفية إيقاف المد الثوري الذي يجتاح المنطقة بسبب انتصار ثورة إيران وسقوط الشاه، ويمكنني الآن القول أن عصر الفتوحات الإسرائيلية قد تقلص وربما ذهب مع الشاه، وأن عصر التراجعات والاضطرابات وثورات الداخل سيبدأ في المستقبل).

وأثناء عملية احتجاز الرهائن في السفارة الأمريكية بطهران كتبت صحيفة معاريف مقالاً جاء فيه: (إنّ القلق الذي ينتاب إسرائيل اليوم من جراء عملية احتجاز الرهائن الأمريكيين في طهران يجعل كل إسرائيلي يطرح السؤال التالي: هل نستطيع أن نضع ثقتنا بقدره الولايات المتحدة على حماية مصالحها في الشرق الأوسط، وبالتالي مساندة حلفائها وفي مقدمتهم إسرائيل، إذا حدث ووقعت إسرائيل في أزمة ما؟ أم أنها ستتردد في اتخاذ القرار السليم؟

والسؤال الثاني: هل ما زالت الولايات المتحدة تعتبر نفسها من الدرجة الأولى بين دول العالم من حيث القوة أم أنها أضحت نمرأ من ورق؟

أسئلة تراودنا لا بد من الإجابة عنها والى أن تنتهي الأزمة سيكون هذا بمثابة امتحان لنا أكثر مما هو امتحان لإيران).

وفي الوقت نفسه، اعتبرت مجلة (الحوادث) اللبنانية انتصار الثورة في إيران وسقوط الشاه بمثابة النكسة الكبرى لإسرائيل، وأشارت في هذا الصدد إلى كثافة حجم التعاون الشاهنشاهي . الإسرائيلي والذي كان على الشكل الآتي:

1. تعتبر إيران الشاهنشاهية المورد الرئيس للنفط الذي تستهلكه إسرائيل والذي يمر في خط ايلات . اشدود، حيث تبلغ كمية النفط الإيراني 60% من مجموع النفط المستهلك في إسرائيل والذي يغذي آلتها العسكرية العدوانية، ويغذي شرايينها الاقتصادية ومعاملها، وكان الشاه يبيع هذه الكميات بسعر منخفض.

2. كان الميزان التجاري بين إيران وإسرائيل يميل إلى صالح المؤسسات التجارية الصهيونية وبلغ حجم التبادل التجاري حسب آخر إحصاء من الفترة الواقعة بين 1976/3/20م و 1977/3/20 كالآتي:

أ. واردات الشاه من إسرائيل(مليارا) ريال إيراني.

ب . صادرات الشاه إلى إسرائيل(100) مليون ريال إيراني ما عدا النفط الإيراني ومبيعات الأسلحة الإسرائيلية إلى إيران الشاهنشاهية.

3. كانت المنظمة الصهيونية سوحزت من أنشط المنظمات في الشرق الأوسط والقارة الآسيوية ومن أبرز نشاطها في العهد الشاهنشاهي القيام برحلات سياحية منظمة من طهران إلى تل أبيب.

4. في مجال الصناعة، وقع الشاه عقداً قيمته (20) مليون دولار مع شركة (أي.دي. أيه) الإسرائيلية لإقامة مصنع لإزالة ملوحة مياه البحر للقوات البحرية الشاهنشاهية في ميناء بندر عباس وذلك في شهر مارس من عام 1978.

5. أصيبت الصناعات الجوية الإسرائيلية بنكسة كبرى جراء انتصار الثورة الإسلامية وإلغاء العقود المبرمة بين الشاه وتلك الصناعات وضمن هذا الإطار كتب تسفي تيمور في صحيفة (عل همشمار) الإسرائيلية ما نصه: (تضررت الصناعة الجوية الإسرائيلية والتي تضم ثلاثة عشر معملاً بسبب إلغاء الإمام الخميني عقوداً كان الشاه قد وقعها مع الصناعة الجوية الإسرائيلية والتي قدرت بحوالي 600 مليون دولار).

6 . وجهت الثورة الإسلامية ضربة عنيفة لجهاز المخابرات الإسرائيلية (الموساد) والذي كان له نفوذ واسع في إيران، ويتخذ منها نقطة انطلاق للدول العربية والبر الآسيوي.

إنّ الثورة الإسلامية في إيران رفعت . منذ أول أيام انتصارها على الشاه . شعار الجهاد لتحرير القدس وكامل التراب الفلسطيني وتمكنت من تحريك مناطق كثيرة قريبة من إسرائيل ومن القدس بانتفاضات تحمل طابع التغيير الهادف إلى تحقيق هذا الشعار وتطبيقه .

وعلى هذا الأساس تقوم نظرية آية الله الخامنئي حول مستقبل العالم بعدم مقدرة إسرائيل على البقاء في هذه الأرض المقدسة، وسوف يرحل الصهاينة عنها هرباً من الموت كما هرب العنصريون الأوروبيون من روديسيا، وخطا ابناء الأكثرية السوداء خطوات ناجحة في إقامة دولتهم والتي أصبحت في الوقت الحاضر مركزاً مهماً للشوار الأفارقة واحتضنت قمة رؤساء دول عدم الانحياز .

إنّ كل الدلائل تشير إلى صحة نظرية آية الله الخامنئي حول عدم مقدرة إسرائيل على البقاء، فقد استطاع عدة آلاف من اللبنانيين المقاتلين دحر الجيش الإسرائيلي ودحض المقولة الزائفة بأنه جيش لا يُقهر .

ويعترف المعلق العسكري الإسرائيلي زئيف شيف بأن الكثير من الإسرائيليين يتحدثون عن لبنان بنفس الطريقة التي كان يتحدث بها الأميركيون عن فيتنام . وقد أدت عمليات المقاومة اللبنانية المسلحة إلى زعزعة الاستقرار السياسي في إسرائيل، وهزت صورة الجيش الإسرائيلي، وحطمت معنويات ضباطه وجنوده على حد سواء، وعلى الصعيد نفسه تعترف صحيفة (عل همشمار) الإسرائيلية بهذه الحقائق قائلة . (لقد أظهر الجيش الإسرائيلي عجزاً كاملاً أمام مقاتلي حركة المقاومة اللبنانية والذين يعملون بملاء حريتهم مثل السمك في الماء) .

أما الانتفاضة الفلسطينية في الأراضي المحتلة والتي دخلت عامها الخامس فإنها جعلت المجتمع الإسرائيلي معلقاً بخيوط العنكبوت، وطرحت أسئلة في أذهان الرأي العام العالمي عن جدوى بقاء إسرائيل على قيد الحياة، ويعتقد كثير من خبراء الاستراتيجية في العالم أن المشاريع السلمية المطروحة حالياً في الشرق الأوسط سيكون مصيرها الفشل مثلما فشل اتفاق 17 أيار المعقود بين إسرائيل ولبنان، وان الخيار الوحيد أمام إسرائيل هو الانسحاب من فلسطين .

إنّ الانتفاضة الفلسطينية ليست أمراً عادياً بل إنها نهج حياة لا يمكن تغييره أو القضاء عليه، وقد أكدت الحوادث استحالة وقفها لأنها ممتدة من نابلس إلى خراسان ومن غزة إلى شيراز، وهي صراع جوهري بين

الغزاة الصهاينة وقوى المستقبل، والتي تمثل مليار مسلم، وعلى هذا الأساس بيني آية الله الخامنئي نظريته في عدم بقاء إسرائيل على قيد الحياة خلال المستقبل وهو يقول:

(إنّ الغزوة الصهيونية سوف تندحر مثلما اندحرت غزوة الافرنج في القرون الوسطى).

ومن أجل الإسراع في إنهاء الاحتلال الصهيوني ودعم الانتفاضة الفلسطينية، صادق مجلس الشورى الإسلامي في جلسته العلنية التي عقدها يوم 1990/5/7 على مشروع قانون تضمن المواد الآتية:

1. إنّ أرض فلسطين كانت وما تزال للفلسطينيين وأن الكيان الصهيوني قد غصب هذه الأرض وشرذ وظلم شعبها.

2. دعوة الحكومة الإيرانية إلى تشكيل صندوق لدعم الانتفاضة الفلسطينية في الأراضي المحتلة.

3. قيام مؤسسة الشهداء والمعاقين بدعم عوائل الشهداء والمفقودين وكل الذين يسقطون برصاص الغدر الصهيوني في أية بقعة من العالم.

4. فتح المستشفيات الإيرانية أمام جرحى الانتفاضة الفلسطينية والتكفل بمداواتهم مجاناً حتى الشفاء.

إنّ كل الدلائل تشير الآن إلى حقيقة ثابتة وهي أن الجيش الإسرائيلي هو الأكثر معاناة، فالقوة الحديدية التي اشتهر بها في السابق تحولت إلى ضعف صاحب سواء في المناطق الفلسطينية المحتلة أو في لبنان، لبنان الذي أضحي درساً من دروس الكفاح والمقاومة الباسلة.

شكلت المقاومة اللبنانية المسلّحة ضد قوات الاحتلال الاسرائيلي والقوات الأميركية والفرنسية الداعمة لها، شكلت نموذجاً ثورياً يُقتدى به بالنسبة لمجمل حركة التحرر الوطني في العالم بأسره، وضمن هذا الإطار يقول آية الله الخامنئي:

(حركة عدم الانحياز يجب أن تتخذ سياسة واضحة قائمة على أساس الخروج الفوري غير المشروط لقوات النظام الصهيوني والقوات الدولية من الأراضي اللبنانية).

ولحسن الحظ فإن الكفاح المتواصل والناجح جداً لمسلمي لبنان ضد القوات الغاصبة والمحتلة هو قدوة لنا ومصدر الهام. لبنان درس من الدروس قبل أن يكون مشكلة من مشاكل العالم الثالث، والمقاومة الناجحة التي أبدتها مسلمو لبنان ضد وجود القوى الأجنبية والمعتدية أثبتت على أفضل وجه أن تبعة ترسيخ السيطرة والعدوان الامبريالي في أي نقطة من نقاط العالم لا يمكن القاؤها على عاتق الظروف المادية. وأن الروح الراضية للظلم هي العامل الوحيد الذي يستطيع أن يبين سبب نجاح كفاح مسلمي لبنان.

يجب أن يكون دعم هذا الكفاح العظيم الملحامي حتى القضاء على نفوذ الجبابرة والنظام الصهيوني كاملاً من لبنان؛ العنصر الأساس لما تتخذه الحركة من سياسة موحدة تجاه المسألة اللبنانية). [1]

إنّ لبنان هو درس من دروس المقاومة الناجحة وهو درس من دروس التاريخ القريب والقريب جداً، وهو يستحق أن نسترجعه وننصت إليه، لأنه يمثل مصدر إلهام كما يقول آية الخامنئي.

تعتبر حرب لبنان من وجهة النظر العسكرية الإسرائيلية بمثابة الحرب المشتركة التي يقع العبء الأساس فيها على القوات البرية، فيما يقوم الطيران والبحرية بأعمال الدعم والمساندة، على هذا الأساس زجت القيادة الإسرائيلية وحسب أقوال الجنرال (بن تسيون شرايدر) بحوالي مئة وثمانين ألف عسكري، وألفين وثمانمئة دبابة وعربة ومدرعة، وستة وعشرين سفينة من اثنين وثلاثين سفينة حربية هي مجموع سلاح البحرية الإسرائيلية، ومئات الطائرات من نوع (أف . 16) و(أف . 15). وهذه هي المرة الأولى . كما تقول الصحف الإسرائيلية . التي تُستخدم فيها هذه النسبة العالية من الجنود النظاميين.

أما توقيتها الزمني فيقول الجنرال آهارون ياريف في صحيفة (عل همشمار) الإسرائيلية بتاريخ 1982/12/13: (كان توقيت الحرب ناجحاً جداً، فالجبهة العربية مجزأة، حيث أن العراق منشغل بالحرب مع إيران، ولن يستطيع التدخل، ومصر تسلمت كل شيء نتيجة لاتفاقية كامب ديفيد وأصبحت محيدة عربياً، أما الأردن فلن يدخل الحرب ضدنا).

لقد كان في تصور قادة إسرائيل أن لبنان سيصبح جزءاً من أراضي إسرائيل والى الأبد، فالأسطورة التوراتية والأوهام الجغرافية السياسية التي وضعها مؤسسو الحركة الصهيونية هما اللتان تحددان المركز

الأيدولوجي للتوسع وترفدان الشريان الاستيطاني بالموجات اليهودية الجديدة، ومن هذا المنطق يقول الدكتور يسرايل شاحك:

(طالما هناك فتوحات جديدة يقوم بها الجيش الإسرائيلي فإن هناك موجات جديدة من المستوطنين).

وقد تلاقت مصالح البرجوازية العالمية والشركات الاحتكارية الغربية الكبرى مع مصالح الصهيونية في التوسع في منطقة الشرق الأوسط والتي هي القلب النابض للعالم الإسلامي، إن كبار الرأسماليين الغربيين لهم مصالح في دفع اليهود المقيمين في الولايات المتحدة وكندا والدول الأوروبية إلى الخارج والتوجه نحو إسرائيل لتجذب منافسة اليهود لهم خصوصاً وأن اليهود . لظروف تاريخية . كانوا وما زالوا يسيطرون على مقاليد التجارة وأعمال الصيرفة، وبالإضافة إلى ذلك تسعى الاحتكارات العالمية إلى جعل التوسع الإسرائيلي رأس حربة في الشرق الأوسط حيث النفط والثروة والمعادن الثمينة والمواقع الاستراتيجية والممرات المائية والموقع التاريخي والحضاري وتضم المراكز المهمة للمسلمين والمسيحيين.

وإزاء خطورة نظرية التوسع وضم الأراضي، طرحت المقاومة الإسلامية والوطنية اللبنانية مشروعها لدرء تلك النظرية، وأخذت على عاتقها مهمة التصدي لقوات الاحتلال وإنزال أفدح الخسائر بها. وقد خاضت القوات الإسرائيلية لأول مرة حرب مدن حقيقية في صور وصيدا والنبطية والدامور وبيروت، وتلقت ضربات قاتلة لم تعهدها من قبل. وجاء على لسان الجنرال بن تيسون في صحيفة ها آرتس بتاريخ 18/9/1982 (إنّ الجيش الإسرائيلي قصف بيروت لمدة خمس عشر ساعة متتالية دون انقطاع وبالرغم من ذلك تكبد عشرة قتلى مقابل كل متر تقدمه باتجاه العاصمة).

وفي الوقت نفسه، خاضت الدبابات الإسرائيلية تجربة قاسية جداً في حرب المدن اللبنانية حيث واجهت نظاماً دفاعياً مضاداً للدروع تألف من:

1. مدفعية رمي منحنى.

2. دبابات رمي مباشر.

3. صواريخ م/د.

4. مدافع م/دب 10 وب 11 ومدافع عيار 106 مم و75مم.

5. قاذفات آر.بي. جي التي ادخلت بشكل واسع واستطاعت تحطيم مئات الدبابات الإسرائيلية وتشهد أقوال الصحافة الإسرائيلية وتصريحات جنود جيش العدوان وضباطه . وخاصة الجرحى منهم . مدى النجاح الذي حققه المقاتلون بسلاء بهذا السلاح.

لقد بدأ الرفض الشعبي للاحتلال منذ الأيام الأولى للغزو واتخاذ طابعاً فريداً من نوعه لأنه تم تحت قناعة ذاتية، وبفعل ظروف موضوعية، وبعيداً عن أي شكل من اشكال التنسيق الرسمي، واتخذ الرفض الشعبي الشكلين الرئيسيين المتجانسين وهما:

أ. انتفاضة المدن والقرى الجنوبية: وشارك فيها الشيوخ والأطفال والنساء وأصحاب المحلات التجارية والعمال والكسبة. وقد زلزلت الانتفاضة الأرض تحت دبابات العدو وجنوده وكانت المساجد ودور العبادة بمثابة مراكز قيادة متقدمة لمواجهة قوات الاحتلال.

ب . عمليات الاستشهاد والكفاح المسلح: الأساليب الجديدة التي ابدعتها المقاومة الإسلامية والوطنية اللبنانية التي ظهرت في صيف عام 1983 على مدى أعوام 1984، 1985، 1986 في مواجهة أساطيل الدول الاستعمارية الكبرى ثم في مواجهة القوات الإسرائيلية، هذه الأساليب احتلت الواجهة الأكثر فعالية في إنهاء الغزوة الإسرائيلية للأراضي اللبنانية، وفي انسحاب مشاة البحر الأميركيين وقوات المظليين الفرنسيين من السواحل اللبنانية.

وقد تجلّى عامل العقيدة بوضوح في عمليات الاستشهاد التي نُفذت ضد قيادة قوات الاحتلال الإسرائيلي في جنوب لبنان، والتي راح ضحيتها أكثر من سبعين ضابطاً كبيراً وفيهم عدد من رؤساء دائرة المخابرات (الموساد) وضد مقر المارينز، والذي وجد تحت أنقاضه حوالي ثلاثمئة ضابط وجندي اميركي، وضد مقر القوات الفرنسية في بيروت ووجد تحت أنقاضه حوالي مئة جثة.

أما الكفاح المسلح الذي خاضه الشباب اللبناني فإنه أضحى كارثة حقيقية لقوات الاحتلال لأنه شمل جميع الأراضي اللبنانية المحتلة، وفرض حرب استنزاف طويلة على الجيش الإسرائيلي. وضمن هذا الإطار

يقول الجنرال إبراهيم دان لصحيفة معاريف بتاريخ 13/6/1983 (إنَّ ما يحدث في جنوب لبنان هو حرب عصابات يتلقى خلالها جنود جيش الدفاع ضربات موجعة في المناطق الحساسة).

وكتب شلوموجازيت الرئيس السابق لشعبة المخابرات ورئيس جامعة بن غوريون في صحيفة يديعوت احرونوت بتاريخ 25/11/1983 ما نصه (ها نحن قد نسينا كل التصريحات المتفائلة لشهري حزيان وتموز عام 1982 بخصوص نتائج الحرب، وبالنسبة لعلائقنا مع لبنان المستقبل. السؤال الذي يطرح نفسه منذ عدة شهور هو: وماذا بعد؟ إن وجودنا في الجنوب يتسبب في عبء دموي مؤلم وعبء أخلاقي والأخطر من ذلك أنه يهدد مجمل الإجماع الوطني في المسائل الأمنية).

وكتب المعلق العسكري الإسرائيلي زئيف شيف أحد أبرز الكتاب الاستراتيجيين في إسرائيل سلسلة من الدراسات في صحيفة هاآرتس جاء في الحلقة الأولى منها في 2/8/1985: (إنَّ الجيش الذي تم تخليصه من المستنقع اللبناني بثمن باهظ من الدماء خاضع للتغييرات، فهذا الجيش مرَّ في أزمة لم يتخلص منها بعد، وهو الآن يمر بمرحلة انتقالية ويريد ملائمة نفسه مع ميدان المعركة المستقبلية وبالإجمال تضررت صورة الجيش وتآكلت مكانته، وهذا التآكل سوف يؤثر على الرغبة في البقاء في الجيش وعلى النوعية مع الزمن، فالمجموعة العالية من أبناء الكيبوتسات أخذت تهرب من الخدمة النظامية في الجيش الإسرائيلي، والتي كانت تمثل 40% من الضباط النظاميين في الجيش، وتقلصت النسبة الآن إلى 11% فقط).

وفي الحلقة الثانية بتاريخ 8/8/1985 كتب في هاآرتس ما نصه (إن إعادة جيش الدفاع إلى نفسه أو إخراج لبنان من جيش الدفاع حسبما يصف الآخرون ذلك، هي عملية جيب القيام بها على عدد من الصعد وقد تطرقنا . في الحلقات السابقة . إلى تأثير الحضور الطويل فوق الأراضي اللبنانية على جنود جيش الدفاع وخاصة على الجندي الفرد).

كما أن الغوص أكثر من اللازم في المستنقع اللبناني له تأثير حتى على جيش الدفاع كتنظيم عسكري وكالة قتالية، ويخيّل إليّ أن المر الأخطر هو أن جيش الدفاع قد توقف خلال السنوات الثلاث من حضوره في لبنان عن أن يكون جيشاً هجومياً. فعلى الرغم من أنه كان في أرض معادية وواجه اعتداءات متكررة فإن جيش الدفاع كما يكتفي بالرد فقط، وهكذا فإن المبادرة إلى الهجوم والتي كانت إحدى السمات

البارزة والمعروفة عن جيش الدفاع منذ الخمسينات قد تقلصت إلى حد كبير، وبذلك أصبح الجيش الإسرائيلي في النهاية جيشاً دفاعياً بصورة خاصة، ومن حين لآخر كان يثور مستخدماً القبضة الحديدية لكنه سرعان ما يعود إلى أسلوب الدفاع.

هذا واحد من أخطر الأضرار التي سببتها المغامرة اللبنانية لجيش الدفاع، وإذا لم يتبدل هذا الاتجاه من أساسه فقد يؤدي إلى إلحاق ضرر كبير بقدرة جيش الدفاع على الردع).

إنّ تلاحق العمليات البطولية للمقاومة الإسلامية والوطنية اللبنانية ضد قوات الاحتلال الإسرائيلي أسفر عن تحقيق النتائج التالية:

1. أنها المرة الأولى منذ قيام إسرائيل على أرض فلسطين . التي يمني فيها جيشها بخسائر كبيرة في الأرواح، فيقول الجنرال هارون شارون لمراسل صحيفة عل همشمار وهو راقد على سرير في المستشفى بسبب إصابته في لبنان: إنّ خسائر فرقته في معاركها مع مخيم عين الخلوّة بلغت حوالي ألفي قتيل وجريح، وبلغت خسائر الجيش الإسرائيلي في معركة الدامور 300 قتيل وجريح، وفي قلعة الشقيف بلغت أكثر من (200) قتيل وجريح، وخسر في معارك الاستنزاف التي خاضها مع المقاومة اللبنانية أكثر من (500) قتيل وجريح، وتقدر بعض المصادر الغربية عدد قتلى الجيش الإسرائيلي وجرحاه منذ غزوه الأراضي اللبنانية وحتى نهاية عام 1989 بأكثر من (1000) ضابط وجندي، بينهم (10) جنرالات و(50) ضابطاً برتبة لواء. كما بلغ عدد الهاربين من الخدمة العسكرية أكثر من أربعة آلاف عسكري.

وكتبت صحيفة هاآرتس معلقة على الموضوع نفسه بتاريخ 1983/2/14 (إنّ (400) عسكري بينهم (620) ضابطاً برتبة رائد فما دون قد هربوا من الخدمة في لبنان، وقد حُكم على ضابط في سلاح المظلات هو الملازم باشي منوحين بالسجن لرفضه الخدمة في لبنان، وهو الضابط رقم عشرين الذي يحكم عليه بالسجن لنفس المخالفة. إنّ الهروب من الجيش يحدث لأول مرة في تاريخ جيش الدفاع وينبغي معالجة هذا الأمر بشكل جدي من قبل الحكومة وقيادة جيش الدفاع).

2. اضطرار إسرائيل إلى الانسحاب من غالبية الأراضي اللبنانية دون تحقيق هدف واحد من أهداف حربها، وضمن هذا الاطار يقول الجنرال الإسرائيلي مردخاي غور لحصيفة (عل همشمار) بتاريخ 1984/2/16)

كان من عادة الجيش أن يحقق كل أهداف الحرب التي تضعها الحكومة أو على الأقل 90% منها، ولكن هذه أول مرة يفشل فيها الجيش الإسرائيلي في تحقيق أي هدف من أهداف الحرب).

وعلى صعيد نفسه يؤكد جورج بول مساعد وزير الخارجية الأميركي الأسبق في كتابه (الخطأ والخيانة في لبنان) قائلاً: (ان فشل اسرائيل في تحقيق اهدافها من التقدم نحو الأراضي اللبنانية يعود بالدرجة الاولى لتصدي سوريا والشعب اللبناني للقوات الاسرائيلية، وليس لما يشاع من أن الإدارة الأمريكية مارست الضغوط على اسرائيل وبالتالي حدثت من أهداف اجتياح لبنان).

3. تعمق الأزمات داخل إسرائيل اقتصادياً واجتماعياً. وقد نشر كاتبوا الدراسات الاقتصادية عشرات الدراسات في الصحف الإسرائيلية عن الاضرار التي لحقت باقتصاد اسرائيل جرّاء حرب لبنان، وجاء في دراسة بعنوان (سنظل نشعر لسنوات طويلة بالثمن الاقتصادي المخيف للحرب اللبنانية) للكاتب الإسرائيلي طوقه تسيموكي نشرها في صحيفة دافار بتاريخ 1985/6/27 جاء فيها (يرى البروفسور حاييم بركاي من كبار أساتذة الاقتصاد في الجامعة العبرية أن الحرب اللبنانية أثبتت أن النظام السياسي الاجتماعي في إسرائيل لم يسلم حتى الآن بحقيقة أن الدولة تمر بوضع اقتصادي صعب لم يسبق له مثيل).

لقد طرح البروفسور بركاي خلال محاضراته التي ألقاها هذا الاسبوع وموضوعها (الثمن الاقتصادي للحرب) توقعات صعبة بالنسبة إلى الاقتصاد الإسرائيلي وقال: إنّ الثمن الاقتصادي المخيف للحرب هو أكبر مما يتصوره بعضهم. وأنا سنظل نشعر بهذا الثمن وبناتجته سنوات أخرى طويلة. ويستدل من حسابات البروفسور بركاي أن النفقات المباشرة للحرب تقدر بحوالي 4/25 مليار دولار، هذا إضافة إلى بعض النفقات الأخرى التي عددها والتي يصعب علينا أن نقدرها بدقة مع أن مجملها لا يقل عن المبلغ المذكور.

ولدى حديث البروفسور بركاي عن النفقات المباشرة قال: إنّ جهاز الأمن قام بانفاق 2/5 مليار دولار ومن موازنة الدولة لتمويل الحرب، ويشتمل هذا المبلغ أيضاً على ضياع الذخيرة وساعات الطيران والقذائف.

وهناك نفقات أخرى ترتبت على قيام الحرب اللبنانية تتلخص بفقدان الطاقة البشرية في مجال الإنتاج الاقتصادي بسبب الالتحاق بالاحتياط، ويتضح من خلال المعطيات الصادرة عن دائرة الاقتصاد في القدس الصادرة في منتصف عام 1982 أنه تغيب عن الإنتاج الاقتصادي حوالي (20) ألف شخص، وكلفت الحرب الاقتصاد في العام الذي وقعت فيه (700) مليون دولار.

وهناك نفقات أخرى ترتبت على الحرب اللبنانية تعود إلى عملية التزود بالذخيرة وعملية الاحتياط التابعين للجيش، وقد كلفنا الاقتصاد الإسرائيلي (200) مليون دولار. ولدى تطرقه إلى حسابات النفقات المباشرة فيما يتعلق بالقتلى وبالعائدات التي تدفعها الدولة والتي يتعين أ، تدفعها على مدى عشرات السنوات في المستقبل لآلاف الجرحى وذوي العاهات فإنه قدّر كل هذا بحوالي (4/25) مليار دولار.

وتطرق البروفسور بركاي إلى قوة سوريا الآخذة بالتعاظم فقال: سيكون لهذا التعاظم ابعاد على جودنا، فعندما يقوم جيش الدفاع ببناء قوته يأخذ بعين الاعتبار الواقع السوري، لهذا يتعين علينا أن نساير هذه الحقيقة التي تكلف الدولة مئات الملايين من الدولارات، وفي الوقت نفسه خسرت إسرائيل حوالي مليار دولار على صعيد منتجاتها في فروع الصناعة والتجارة والصادرات.

ويرى البروفسور بركاي أن الديون الخارجية والداخلية لإسرائيل تزايدت نتيجة للحرب فكانت الديون الخارجية في عام 1981 تقدير بحوالي (13) مليار دولار، وأضحت في عام 1984 تقدر بحوالي (19) مليار دولار، أما بالنسبة إلى الديون الداخلية فأنها كانت (23/5) مليار دولار في عام 1981 وأصبحت في عام 1984 حوالي (35) مليار دولار بما في ذلك ديونها لأصحاب الأسهم المصرفية، وأن الاقتصاد الإسرائيلي يعاني الآن وفي المستقبل ضائقة مخيفة بسبب تلك الديون وأن الحرب اللبنانية ساهمت كثيراً في هذا العبء المالي).

وقد ساهم هذا العبء المالي في زيادة الهجرة من إسرائيل إلى الدول الغربية، وحسب أقوال عكيفا مئير مدير عام شركة (ال . اوف) لصحيفة معاريف في 1985/8/2 فإن الهجرة من إسرائيل لم تقتصر على الأفراد وإنما تعدت إلى المعامل الكبرى ويقول (إن دولة إسرائيل ستخسر العكاز الصناعية والتكنولوجية والبشرية، التي هي جزء من الفسيفساء التي تشكل الحصانة الأمنية لإسرائيل، وأن الضرر الناجم عن هجرة الشركات إلى الولايات المتحدة سيظهر على المدى البعيد).

4. أثبتت المقاومة الإسلامية والوطنية اللبنانية أن بإمكان الحركات الثورية إلحاق أضرار كبرى بالقوات المحتلة وبأساطيل قوات الدول الكبرى ومنعها من تحقيق أهداف العدوان. وقد نفذت المقاومة اللبنانية مهاماً قتالية جديدة تعجز عن القيام بها الجيوش النظامية، وأكدت للعالم أن المنظمات الجهادية تمتلك ألغاماً غير مرئية بإمكانها الانفجار وإلحاق الضرر بالمصالح الأستعمارية الغربية، وقد ظهرت تلك الالغام في نسف مقر المارينز ومقر القوات الفرنسية ومقر السفارة الأمريكية في بيروت، والتي أسفرت عن مقتل عدد من كبار خبراء وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية وضباطها، ومن هنا اضحت المقاومة اللبنانية نموذجاً ثورياً يقتدى به بالنسبة لمجمل حركات التحرر العربية والإسلامية والعالمية، وأصبحت مصدر إلهام للحركات الثورية كما يقول آية الله الخامنئي.

[1] ينظر إلى (آراء الجمهورية الإسلامية الإيرانية حول القضايا العالمية) ص 27 . 28.

يرى بعض الخبراء في الشؤون الاقتصادية أن نظرية آية الله الخامنئي في محاصرة الكيانات العنصرية في آسيا وأفريقيا بدأت تحقق نجاحاً ملموساً، ويستدلون على ذلك من خلال ممارسة الجمهورية الإسلامية للدبلوماسية الاقتصادية في كلا القارتين. واستطاعت عن طريق الضغط البترولي وتقديم المساعدات الاقتصادية شل التحرك الصهيوني في العديد من البلدان الأفرو-آسيوية، ومن أبرز الأمثلة على ذلك قيام جمهورية سريلانكا بقطع علاقاتها الدبلوماسية مع الكيان الإسرائيلي في آذار من عام 1990.

وقد ربطت بعض الصحف العالمية بين اغلاق مكتب رعاية المصالح في كولومبو ونمو العلائق الاقتصادية والثقافية بين إيران وسريلانكا، ومن بين التعليقات الصحفية على هذا الربط قالت صحيفة مسلم الباكستانية (إنّ الجمهورية الإسلامية في إيران هي أول دولة إسلامية أعلنت دعمها لاجراء رئيس جمهورية سريلانكا القاضي باغلاق مكتب رعاية المصالح الاسرائيلية وطرده العاملين فيه إلى خارج الحدود وجاء هذا الدعم عبر زيارة مبعوث حجة الإسلام هاشمي رفسنجاني رئيس الجمهورية إلى كولومبو واجتماعه بالرئيس السريلانكي وتقديمه رسالة مهمة من الرئيس رفسنجاني تتضمن الدعم والمساندة للقرار السريلانكي بإغلاق مكتب رعاية المصالح الإسرائيلية).

إنّ الإدارة الأمريكية ساهمت بفتح ثغرات في الجدار الآسيوي لصالح الكيان الإسرائيلي منذ منتصف الخمسينات، عبر اشراك إسرائيل في الاحلاف العسكرية بشكل سري، كحلف جنوب شرق آسيا والذي ضم باكستان وتايلاند والفلبين والولايات المتحدة وأستراليا وبريطانيا وفرنسا. وعلى الصعيد نفسه استغلت الحكومة الإسرائيلية مشاكل الأمن القومي والنزاعات في العديد من البلدان الآسيوية لصالح الشركات الصهيونية والنفوذ عبرها سياسياً واقتصادياً، وكثفت الحكومة الإسرائيلية اتصالاتها الاستخباراتية والعسكرية مع الهند وبورما وتركيا وسريلانكا وكوريا الجنوبية وتايلاند خلال العقود الثلاثة المنصرمة، وأجرت مسحاً شاملاً للحركات الثورية في شرق آسيا وجنوبها، ونفذت عمليات ارهابية ضد الحركات الثورية والدول المعادية للنهج الاستعماري.

ومن أفضل التعليقات التي صدرت على اغلاق مكتب رعاية المصالح الإسرائيلية في كولومبو ما جاء على لسان ناطق رسمي سريلانكي بقوله (إنّ هذا المكتب يمثل أحد معاقل النفوذ الغربي والصهيوني في هذه المنطقة الاستراتيجية البالغة الحساسية، وأن اغلاقه يمثل خطوة مهمة فهو يقوم بنشاط هدام ليس في سريلانكا وحدها، وإنما في العديد من الدول المستقلة في آسيا).

إنّ القيادة الإسلامية ما زالت تخوض صراعاً خفياً مع الكيان الإسرائيلي وأميركا في تايلاند وكوريا الجنوبية واليابان، وقد تجنبت العديد من الشركات والمؤسسات التجارية في تلك الدول التعامل مع إسرائيل خشية فرض المقاطعة عليها من قبل الجمهورية الإسلامية في إيران وبعض البلدان العربية.

وضمن هذا الاطار ذكرت صحيفة هتسوفيه الإسرائيلية خبراً جاء فيه (لقد أخبر نائب وزير الصناعة والتجارة اليابانية أثناء زيارة اسحاق شامير وزير الخارجية الإسرائيلي لطوكيو في أيلول عام 1985 بأن المصانع في اليابان غير معنية بإقامة علاقات تجارية مكشوفة مع إسرائيل نظراً لتخوّفها من عمليات انتقامية من إيران والدول العربية).

وفي شهر تشرين أول من عام 1985 كتبت صحيفة هتسوفيه دراسة عن العلاقات اليابانية الإسرائيلية جاء فيها (إن الإسرائيليين لا يتوقعون حدوث تطورات كبيرة في العلاقات مع اليابان خلال المستقبل المنظور، بسبب حاجة اليابان الدائمة إلى نפט إيران والدول العربية النفطية وعلاقتها الواسعة بالسوق التجارية

الإيرانية والعربية، ومن هنا فإن الطريق إلى اليابان معبد بالآلام ويجب التحلي بالصبر لاقناع اليابانيين بتغيير موقفهم من إسرائيل).

إنّ الصراع المعلن والخفي بين الجمهورية الإسلامية وإسرائيل وأمريكا في آسيا لم يُحسم بعد، ولكن الأمور تسير إلى صالح الدبلوماسية الإيرانية، فالدول الآسيوية ترى في إسرائيل وكيلا للمصالح الاستعمارية وتشكل خطراً على ثقافتها ومصالحها الاقتصادية والتجارية.

هذا في آسيا، أما في أفريقيا فإن الهجوم الرائع الذي قاده آية الله الخامنئي منذ بعضة عوام فهو يعتبر مثلاً حياً للمواجهة بين الجمهورية الإسلامية في إيران من جهة والكيان الاسرائيلي والكيان العنصري في جنوب افريقيا من جهة أخرى، ويرى العديد من المتخصصين في الشؤون الأفريقية أن إيران حققت نجاحاً أهم بكثير مما يعتقد فشبكة العلاقات الاقتصادية والتجارية والسياسية والثقافية التي اقامتها ايران مع أكثر من عشرين بلداً افريقياً قلصت النفوذ الصهيوني في القارة السوداء، وقامت الجمهورية الإسلامية بتمويل مشاريع زراعية وصناعية في تلك البلدان، ويعمل عدد كبير من الخبراء الإيرانيين في مجالات التنمية الزراعية، كما يتولون تدريب الكادر المحلي في هذا القطاع الحيوي، وقد تولى خبراء وزارة جهاد البناء الإيرانية تطوير شبكات النقل والاتصالات وبناء مولدات كهربائية في تنزانيا وغانا وزيمبابوي وبوتسوانا وزامبيا.

وربما الأهم من هذا كله هو زيارة آية الله الخامنئي إلى دول المواجهة الافريقية في حزيران عام 1986 فقد اثرت تلك الزيارة على الرأي العام الافريقي بشكل كبير، فالدول الافريقية ذات حساسية خاصة بالنسبة للنظام العنصري في جنوب أفريقيا، وجعلت العديد من الدول الافريقية تتردد في إعادة العلاقات الدبلوماسية مع الكيان الاسرائيلي على الرغم من المغريات والضغوط التي مارستها امريكا على تلك الدول لتستأنف علاقتها مع إسرائيل.

لقد ركز آية الله الخامنئي في تلك الزيارة وفي خطابه الذي القاه في قمة عدم الانحياز في زيمبابوي على إبراز أوجه الشبه التي تجمع بين الكيان الإسرائيلي، والكيان العنصري في جنوب أفريقيا وجاء في خطابه: (أن أفضل محك لتقويم فاعلية النظام الدولي الحاكم ملاحظة تاريخ أفريقيا الجنوبية وما عملته المنظمات الدولية تجاه اعتداءات النظام العنصري).

قلما نجد حكومة في التاريخ المعاصرة تحمل جميع الصفات الرذيلة وتتعرض بسبب جرائمها إلى هذا القدر من الاستنكار كالنظام العنصري، ومع أن القرن العشرين يقترب من نهايته فما زال فضاء التنفس مفتوحاً لاستمرار حياة نظام بريتوريا، مشكلة جنوب أفريقيا ليست فقط مشكلة أفريقية، فهتك القيم الإنسانية السامية في بقعة من بقاع الأرض هو اعتداء على حقوق البشرية جمعاء، من هنا فان استمرار مساعدات أمريكا وبعض الدول الأوروبية لنظام بريتوريا وعدم تنفيذ المقاطعة الشاملة التي أقرت بمصادقة عشرات القرارات والبيانات ينبغي أن يعتبر اعتداء على حقوق جميع البلدان الأعضاء وأن يدانا ويقابلا بالعقوبة.

الجمهورية الإسلامية الإيرانية انطلاقاً من واجبها الإسلامي والوطني ومن واجبها الدولي أيضاً، لم تكتف بقطع تصدير النفط بل فرضت مقاطعة كاملة شاملة ضد نظام بريتوريا، وسعت إلى تجنيد ما أمكنها من قوة وامكانيات على طريق القضاء على العنصرية ومن أجل استقلال ناميبيا، ودعم مواجهة العدوان في الخطوط الأمامية.

وهذه السياسة يجب أن يمارسها كل الاعضاء بدون تلوؤ وأن تصبح منهجاً عملياً. واقترح أن تكلف هذه الدورة لجنة خاصة مكونة من أعضاء يمثلون المناطق الجغرافية المختلفة على مستوى القيادة لتعمل بشكل مستمر . وحسبما تقتضيه الظروف . على وضع المشاريع اللازمة لاتخاذ اجراءات عسكرية واقتصادية وسياسية وثقافية تستهدف القضاء التام على النظام العنصري.

أفريقيا الجنوبية ستعود إلى الأكثرية السوداء عاجلاً أم آجلاً بمساعدتنا أو بدونها، نحن ملزمون باداء ما علينا في هذا الطريق لا من أجل حاجتهم بل من أجل الحفاظ على إنسانيتنا.

إننا نكنّ احتراماً لنضال شعب ناميبيا بقيادة سوابو، واقل ما علينا من واجب هو إقامة علائق دبلوماسية مع سوابو من قبل جميع البلدان غير المنحازة، وأمل أن يتحقق ذلك في هذه الدورة.

ضمير البشرية يعاني بشدة من العذاب جرّاء ما يجري في جنوب أفريقيا، وجود نظام التمييز العنصري في عالمنا المعاش يعتبر إهانة لنا جميعاً وعلينا أن ننهيه بسرعة. بلدان الخطوط الأمامية بصمودها ومقاومتها تؤدي سهمها بأسخى شكل على طريق تحرير الأكثرية في جنوب أفريقيا واستقلال ناميبيا، وسجلت

صفحات ذهبية في تاريخ العالم الثالث، دعم بلدان خطوط المواجهة أمام عدوان أفريقيا الجنوبية اذا اقتصر في الظروف الحالية على الشعار فلا يثير اهتمام أحد.

لقد ملّت أفريقيا الجنوبية من مئات القرارات والبيانات التي تمت المصادقة عليها خلال العقود الأربعة الأخيرة ضد نظام بريتوريا ثم اتجهت لتأخذ مكانها في ملفات المحافل الدولية، أفريقيا تحتاج اليوم إلى العمل.

الجمهورية الإسلامية الإيرانية تطالب بحزم أن تجعل حركة عدم الانحياز هدفها في دورتها الجديدة هذه اقتلاع جذور نظام بريتوريا. زيمبابوي باعتبارها الرئيسة الحالية يجب أن تستخر أكبر قدر من امكانات الحركة لهذا الهدف، الجمهورية الإسلامية الإيرانية انطلاقاً من واجبها الدولي وأهم من ذلك تلبية للتعالم الإسلامية المؤكدة القاضية بوجوب الدفاع عن المظلوم ورد الظلم تقدم غاية قدراتها وامكانياتها في هذا الطريق.

قلما يوجد شبه بين نظامين في العالم قدر الشبه الموجود بين النظام العنصري في جنوب أفريقيا والنظام الصهيوني على صعيد الأفكار والممارسات؛ كلاهما ينتهج سياسة تمييزية تجاه الأهالي الأصليين، وكلاهما يشن باستمرار عدواناً مبرمجاً على البلدان المجاورة، كلاهما سجّل الرقم القياسي في نقض القوانين والقرارات الدولية، كلاهما من مصاديق الإرهاب الحكومي.. من هنا فغن اتخاذ اساليب المداينة تجاه الصهيونية سوف لا يؤدي إلى أي تغيير ايجابي، نحن نعتقد أن تحرير القدس كاملة لا يمكن الا عن طريق كفاح مسلح جاد.

العدوان ليس صفة طارئة على هذين النظامين كي يمكن إزالته بالمحادثات بل إن ماهيتهما تقتضي العدوان، وأن فكرة التعايش السلمي لشعوب المنطقة مع ممثل هذه الأنظمة لا تجد لها مكاناً إلا في الاذهان الساذجة، ونظراً للزيارة الأخيرة التي قام بها رئيس النظام الصهيوني إلى المغرب، أود أن انذر هنا بشكل خاص الأخوة الأفارقة بأن سياسة مد النفوذ الصهيوني في جنوب أفريقيا امتداد طبيعي لسياسة النظام العنصري، وسوف لا تسفر إلا عن اضرار جسيمة على البلدان التي تقيم علائق مع الصهيونية.

إن تعاون هذين النظامين في الحقول المختلفة أكبر إنذار بالخطر الذي يهدد أفريقيا والشرق الأوسط على حد سواء، وأن سياسة عدم الانحياز تجاه النظامين يجب أن تنهج خطأً مشتركاً واحداً وأن تصادق عليها الدورة مصادقة لازمة للتنفيذ[1].

يعتبر النظامان العنصريان في إسرائيل وجنوب أفريقيا متمثلين في الاستراتيجية ويحظيان بدعم كامل من الإدارة الأميركية والدول الغربية الاستعمارية، وقد عبرت صحيفة دي بور جور الصادرة في جنوب أفريقيا عن هذه الاستراتيجية بقولها (إن إسرائيل وجنوب أفريقيا لهما مصير واحد مشترك وكلاهما يجسد قوة ضاربة لولاها لسقطت المنطقتان في الفوضى المعادية للغرب).

إنّ العنصريين الصهاينة والبارتيد لم يكتفوا بالارهاب وعمليات القمع وتغيير التركيبة الاجتماعية للسكان الاصليين، وإنما يسعون دائماً إلى تخريب ثقافة السكان الاصليين، واستبدالها بثقافة المستوطنين النابعة من الثقافة الغربية، وعلى الصعيد نفسه يستخدم النظامان العنصريان قواتهما العسكرية باستمرار في شن هجمات واسعة ضد الدول المجاورة.

وتعتقد حكومتا تل أبيب وبريتوريا أن العدوان الخارجي يسهل عليهما امتصاص الأزمات الداخلية، فكلاهما تعاني أزمات اقتصادية واجتماعية حادة، وترى القيادة الصهيونية أن سياسة التوسع والعدوان على الدول المجاورة تقود إلى إعادة التوازن الداخلي، وتزيد من تلاحم المجتمع الصهيوني، وتجعل اليهود الشرقيين الذين يعانون أقصى أنواع الاضطهاد الطبقي والنفسي داخل المدن والمستوطنات يمارسون الاضطهاد ضد العرب والمسلمين تعويضاً عن الاضطهاد الذي يعانونه على يد اليهود الغربيين، وهذه الرؤية نفسها تطبقها حكومة البيض العنصرية ضد الدول المجاورة لفتح شهية البيض ونسيان مشاكلهم المتعددة.

إنّ أوجه التشابه بين النظام العنصري في بريتوريا والكيان الصهيوني من النواحي الحضارية والدينية والاقتصادية قام بدراستها الأستاذ الدكتور بديع حقي ونشرها في مجلة المعرفة السورية في عام 1986 وكانت نقاط التشابه كالاتي:

1. إن كلاً من الكيانين قد زرع في أرض لا تخص في الأساس الأفراد والجماعات التي قدمت وهاجرت واغتصب هذه الأرض وتملكتها بقوة السلاح، ويسعى كلا النظامين إلى طرد أصحاب الأرض الشرعيين

بالتهديد والقوة الغاشمة الظالمة وتطبيق التمييز العنصري بأشد أنماطه وأكثرها وحشية على شعب فلسطين والشعب الأفريقي في جنوب أفريقيا.

2. إنّ الصهيونية التي هي ركيزة الكيان الإسرائيلي والداعية إلى جمع يهود الشتات (الدياسبورا) في فلسطين تتكى على مفهوم عنصري واضح يقول بأن اليهود هم شعب الله المختار والذين يحق لهم وحدهم بان يقيموا في أرض إسرائيل.

أما نظام الابارتهايد في جنوب أفريقيا فلا يختلف عن الصهيونية في عنصريتها وهو يدعي بأن الآية من الكتاب المقدس تنص على:

(ستأخذ عبدك وخادمتك من الأمم التي حولك).

وترتكز نظرية الابارتايد على أن (العرق الأسود هو أكثر الأعراق تواضعاً فلونه بشع ورائحته كريهة وهو يأكل بنهم وشراهة كالحیوان). وقد استخدمت النازية هذه النظرية في تعبئة كادرها وبناء حزبها، وأصبحت فيما بعد المرتكز الأساس للنظام العنصري في جنوب أفريقيا، ودخلت هذه النظرية في صلب دستور البلاد، وتم بموجبها فرز السكان السود في أماكن بعيدة جداً داخل مخيمات الصفيح، ولا يسمح لهم بدخول المناطق المخصصة للبيض إلا بإذن خاص، ويتعلق بالعمل فقط، ونتيجة هذا الفرز استولى العرق الأوروبي الأبيض والذي يشكل 18% من السكان على 90% من مجموع مساحة الأراضي الغنية بمناجم الألماس والأراضي الصالحة للزراعة في البلاد.

3. إنّ النظامين العنصري في جنوب أفريقيا والكيان الصهيوني يعتبران نفسيهما امتداداً للحضارة الغربية ويقول هرتزل الداعية الأول للصهيونية في كتابه (الدولة اليهودية): إن إنشاء دولة يهودية في فلسطين سيكون متراساً من أوروبا ضد آسيا ومنطقة متقدمة للحضارة ضد البربرية، ويحمل العنصريون البيض في جنوب أفريقيا نفس الفكرة ويدعون بأنهم رسل الحضارة الغربية إلى القارة الأفريقية.

هذه بعض نقاط التماثل بين الكيانين العنصريين أما مستقبل المناطق الراححة تحت السلطات العنصرية في فلسطين و جنوب افريقيا فقد اضحى أكثر وضوحاً بعد حصول ديناميكية جديدة في الكفاح الشعبي في القرى والمدن الفلسطينية المحتلة وفي جنوب أفريقيا.

ويستنتج العديد من مراقبي الساحة العربية الأفريقية بأن الرؤية الاستيطانية الكبرى صارت ضرباً من الوهم فالنظام العنصري في جنوب أفريقيا اضطر تحت ضغط كفاح شعب ناميبيا وبمساعدة الجمهورية الإسلامية في إيران المكثفة للشعب الناميبي اقتصادياً وعسكرياً ومالياً وتحت ضغط الأمم المتحدة وحركة عدم الانحياز اضطر إلى منح ناميبيا الاستقلال التام وباتت ناميبيا دولة معترفاً بها من قبل المجتمع الدولي.

كما بدأ نظام جنوب أفريقيا يتخلى عن ايدولوجيته العنصرية ويلغي قوانين التمييز العنصري، وفي الوقت نفسه سمح للمؤتمر الوطني الأفريقي بالعمل بشكل معلن، وقام بفتح باب الحوار قيادة المؤتمر الوطني من أجل تنظيم انتخابات برلمانية حرة يشترك فيها السود على قدم المساواة مع البيض، وأن المساواة تعني إقامة مجتمع بعيدة عن أي تفوق عرقي أو ديني أو طائفي وإقامة دولة ديمقراطية وبذلك فإن الأقلية البيضاء اضطرت أخيراً للاعتراف بحكم الأكثرية السوداء.

إنّ آية الله الخامني هو أول زعيم دولة يتنبأ بزوال التمييز العنصري فهو يقول: (جنوب أفريقيا ستعود إلى الأكثرية السوداء عاجلاً أم آجلاً) [2]

أما الكيان الصهيوني فإن المشاكل والازمات تحاصره من الجهات الأربع ووضحت الأخطار الداخلية أشد من أخطار الحروب ويقول الكاتب العسكري الصهيوني باروخ ادلر في ملحق صحيفة هتسوفيه (إنّ الندبة العميقة التي خلفتها حرب لبنان ستقوي المعارض ضد الحرب وهذا يضر بقوة الصمود أمام العدو والاستعداد لمحاربه في المستقبل، والتأثير الآخر هو تقليص موارد جيش الدفاع، الأمر الذي من شأنه إلحاق الضرر الكبير بقوة الردع لدى جيش الدفاع وقدرته على حسم المعركة، وأن الافتقار إلى الاجماع عند الشعب سيلحق افدح الأخطار في إسرائيل).

ويعلق الكاتب الصهيوني افي نشري في صحيفة عل همشمار على سيكولوجية التدهور النفسي والمعنوي داخل المجتمع الصهيوني فيقول: (إنّ النظرة العدوانية للإنسان نحو الآخر أخذت تنعزز بشكل كبير في إسرائيل وهذا لم يكن موجوداً من قبل. وهكذا أخذت الاضرابات تزداد وكذلك الحال بالنسبة إلى اعمال العنف التي تترافق معها. أن سيكولوجية التدهور هي الخطر الكبير والحقيقي الذي تواجهه دولة إسرائيل في الوقت الحاضر، وهي أكثر خطورة من المشكلات النابعة من وضع موضوعي مثل الاقتصاد والأمن والفجوة والاجتماعية).

أما الكاتب الصهيوني نوريت دبيرت فكتب دراسة في صحيفة معاريف عن تفشي ظاهرة تعاطي المخدرات بين الطلبة بنسبة عالية جاء فيها (أخذت نسبة الذين يتعاطون الحشيش والذين يلجأون إلى العلاج النفسي من طلاب المدارس ترتفع إلى نسبة 25% سنوياً، وأن العمر الذي يبدأ فيه هؤلاء بالاقبال على المخدرات يقلق الباحثين كثيراً حيث يتضح بان عمر الشباب المدمنين على المخدرات لا يتجاوز الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة والذين يستخدمون المواد الأكثر تخديراً (كالهيروئين والأدولان) فإنهم يبدأون بذلك منذ سن الخامسة عشرة أو السادسة عشرة بعد أن يكونوا قد جربوا الحشيش).

ويعلق أحد السياسيين على ظاهرة تفشي المواد المخدرة في المجتمع الصهيوني قائلاً: (إنّ تلك الظاهرة تنغذى على حالة عدم الثقة الذاتية وأن المجتمع الإسرائيلي مقبل على حالة انهيار بسبب الخوف من المستقبل المحفوف بالمخاطر).

وجاء في تعليق لوكالة رويتر للأبناء ما نصه (تثير المناقشات التي تجري لميزانية إسرائيل أسئلة بشأن قوة الدولة الإسرائيلية في المستقبل وقدرتها على مقاومة الضغوط، وتأتي المناقشات بشأن الميزانية التي يبلغ حجم الانفاق فيها 78/8 مليار شافل (33/8 مليار دولار) في وقت يشهد ضعف معدل النمو الاقتصادي وبلوغ معدل التضخم السنوي 21% وتفشي البطالة).

وتبرز المعركة حول الميزانية الخيارات الصعبة التي تتجرعها إسرائيل على مريض حتى الآن، وتريد وزارة المالية . التي تشعر بقلق للعجز المتفاقم في الميزانية . تحويل أموال من مجال الدفاع، وتواجه إسرائيل عجزاً نسبته 5/5% من الناتج القومي الاجمالي حتى إذا تم تخفيض الانفاق العسكري، وإذا لم يتم إيجاد فرص عمل في اقتصاد يعاني ركوداً منذ سنين فإن المهاجرين الموجودين في إسرائيل سيسعون إلى الرحيل ولن يصل آخرون).

وفي الوقت الحاضر فإن آراء اساتذة الاستراتيجية في بعض العواصم الغربية منقسمة إلى رأيين أولهما يعتقد بقرب نشوب حرب عربية . إسرائيلية خلال المستقبل المنظور. ويستدل أصحاب هذا الرأي بالمؤشرات التالية:

1. إنّ السلام لم يكن يوماً من الأيام هدفاً إسرائيلياً، فكل القيادات الصهيونية من بن غوربون إلى ليفي اشكول إلى غولدا مائير إلى شمعون بيريز إلى مناحيم بيغن إلى اسحاق شامير كلها تمثل الارهاب اليهودي

البشع، وكل واحد منهم كان حرباً ضد الشعب الفلسطيني وضد الدول العربية وكل واحد منهم كان بحاجة إلى اتفاق مع العرب للتحضير لحرب عدوانية جديدة من أجل استكمال المشروع الصهيوني وبناء الدولة اليهودية الكبرى. ومن هذا المنطلق يقول أحد الصحفيين معلقاً على مباحثات السلام بأن إسرائيل تهدف منها احباط أية مبادرة عسكرية عربية هدفها تحرير الأراضي المحتلة.

2. إن حكومة اسحاق شامير هي حكومة حرب، فهي تضم أبرز الوجوه الداعية للتوسع وشن الضربات العسكرية الوقائية مثل بيريز وبن اليعازر وعاموس فاريد. وقد وضعت هذه الحكومة في مقدمة مشاريعها قمع الانتفاضة الفلسطينية والاحتفاظ بالقدس والجولان وقطاع غزة وعدم الانسحاب من ستمتر واحد من الأراضي العربية المحتلة.

وهذه الحكومة تشبه إلى حد بعيد حكمة ليفي اشكول التي تشكلت قبيل عدوان حزيران عام 1967 والتي ضمت الوجوه الأكثر ارهابية في ذلك الوقت مثل موشي دايان وماحيم بيغن وايغال ألوان ويوسف سبير، وعلى هذا الأساس فإن العرب ذاهبون إلى السلام فيما اسحق راين عائد إلى الحرب.

3. على الصعيد الاقليمي فإن العلاقات العربية بلغت حداً من العداة المستحکم بسبب غزو النظام العراقي لدولة الكويت وما أحدثه هذا الغزو من كوارث ومآسٍ للدول العربية، وفي ظل هذه الأوضاع يحاول اسحاق راين الاستفادة إلى أقصى حد منها وعدم إضاعة الفرصة التاريخية وذلك عبر تهيئة الأجواء لشن حرب جديدة.

4. اطمئنان الحكومة الإسرائيلية إلى الدعم السياسي والاقتصادي والعسكري الأمريكي لها اثناء شنها العدوان، وفي الوقت نفسه انشغال الاتحاد السوفيتي بقضاياها الداخلية وعدم مجازفته بتقديم الدعم العسكري للدول العربية.

أما الرأي الآخر فإنه يعتقد باختلاف الظروف التي كانت سائدة في إسرائيل قبيل حرب حزيران عام 1967 عما هي عليه في الوقت الحاضر. ومن أبرز الاختلافات:

1. امتلاك بعض الدول العربية لأسلحة الدمار الشامل والتي بإمكانها ضرب الأهداف العسكرية والاقتصادية داخل العمق الاسرائيلي، وإشاعة الذعر والهلع في صفوف المجتمع الإسرائيلي، كما أن زيادة

ثقة سوريا بنفسها عسكرياً قربت كثيراً من التوازن الاستراتيجي في منطقة الشرق الأوسط، وحسب مصادر الاستخبارات المركزية الأمريكية فإن سوريا تمتلك 4500 دبابة مقابل 3900 دبابة لدى إسرائيل و3700 مدفع مقابل 2600 مدفع لدى إسرائيل.

2. هناك عنصر إضافي داخل إلى معترك الصراع مع إسرائيل ويستحق الاعتبار، ويتمثل بالنظام الثوري الإسلامي في إيران. وبمقدور إيران أن تضغط اقتصادياً وعسكرياً على الدول المساندة لإسرائيل مثلما بمقدورها الضغط عسكرياً على إسرائيل وذلك عبر إرسالها عشرات الآلاف من المقاتلين إلى ساحة المعركة في زمن سريع.

3. ما زالت إسرائيل تعيش فقدان الثقة بنفس بعد الخسائر الفادحة التي تكبدها الجيش الإسرائيلي في لبنان، وتعرض الصحف الإسرائيلية على الدوام للمشاكل النفسية والاقتصادية التي تعرض لها المجتمع الإسرائيلي جراء حرب الاستنزاف التي نفذتها المقاومة اللبنانية.

وقد كتب مؤخراً شلوموجزيت الرئيس السابق لشعبة المخابرات الإسرائيلية مقالاً جاء فيه (إن أهم الأسباب التي أدت إلى زعزعة الاستقرار السياسي في إسرائيل وما شهده المجتمع الإسرائيلي من حركات احتجاج هو نتيجة مباشرة لتدهور معنويات جيش الدفاع وخسائره البشرية التي تكبدها في لبنان). وعلى الصعيد نفسه كتب يورام بيرري في صحيفة دافار دراسة تحت عنوان (حرب لبنان؛ القصة التي لم يروها أحد) جاء فيها (الانطباع المتكون بالنسبة للمستقبل هو أن قادة جيش الدفاع غير مستعدين لان يقدرُوا من جديد العناصر الأساس في عقيدتهم القتالية، ولهذا السبب فعندما يواجهون الجيش السوري في الحرب القادمة سوف يقترفون الأخطاء ذاتها التي اقترفوها في حرب لبنان).

4. إن القرارات السياسية والعسكرية انتقلت من يد الكثير من الانظمة في الشرق الأوسط إلى الجامعات والمساجد وانتقلت الحروب من قادة الجيوش إلى الفرق الاستشهادية، وما زالت العمليات الاستشهادية التي تمت في بيروت والأراضي المحتلة تثير القلق لدى الحكومة الصهيونية والأمريكية، وكان من أبرزها تفجير شاحنة ملغومة في مقر مشاة القوة البحرية الأمريكية في بيروت في أكتوبر . تشرين الأول عام 1983 ودفن تحت الانقاض حوالي ثلاثمائة ضابط وجندي اميركي، ويعتبر هذا العمل من الأعمال الكبيرة التي تعجز كثير من جيوش العالم الثالث عن تحقيقها، وفي الوقت نفسه أضحي القرار السياسي

والعسكري بيد شبان الانتفاضة في المدن الفلسطينية المحتلة، وهؤلاء جعلوا مستقبل إسرائيل معلماً بالمجهول.

وأخيراً فأنا سوف نستعين ببعض آراء الدكتور (مانفريد فون شونها وزن) أستاذ العلوم السياسية بجامعة برلين الحرة وعضو اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية العالمية، والتي وردت في كتابه الأخير المعنون باسم (اسرائيل على مفترق طرق) فهو يرى (أن اسرائيل في الواقع تسير نحو الكارثة نتيجة سيطرة الجنرالات على القرارات السياسية والعسكرية والاقتصادية، وقد خلقت تلك القرارات المرتدية خوذة الحرب مجتمعاً اسرائيلياً مضطرباً والى حد فقدان الوعي).

كما يرى ان (الأمل اليهودي بدأ يتبخر تماماً بسبب فساد المجمع اليهودي وتصلب الزعماء الاسرائيليين والاتجاه الخطير نحو الفاشية والافراط في العدوانية ضد ابناء المناطق المحتلة وضد ابناء الدول العربية المجاورة، وفي الوقت نفسه بدأ الخط البياني للرأي العام العالمي يرتفع لصالح الفلسطينيين في حين إن إسرائيل سائرة نحو التهلكة).

[1] آراء الجمهورية الإسلامية حول القضايا العالمية ص 24 . 27.

[2] آراء الجمهورية الإسلامية الإيرانية حول القضايا العالمية / ص 25.

كان مفهوم الإعلام في السابق مقتصرًا على نقل الأخبار وجمع المعلومات ونشرها بين الناس، وتسليمة المجتمع والترفيه عنه، ولكن هذا المفهوم تطور تطورًا كبيرًا منذ منتصف القرن العشرين، وأضحى الإعلام الوسيلة الأقوى في تقريب المسافات الجغرافية بين القارات الخمس، وبات يؤدي مهمة حيوية تتمثل بنقل النشاط الإنساني بجوانبه الاقتصادية والسياسية والعقائدية والثقافية، وخلق التفاعل بين الأفكار والايديولوجيات المختلفة.

أما رسالة الاعلام فهي تختلف بحسب المفاهيم السياسية للبلد الموجه له، فالدول الاستعمارية والأنظمة الاستبدادية تستخدم رسالة الاعلام في تزوير الحقائق وبث الاكاذيب في أذهان الرأي العام، وتشويه الوعي

لدى المجتمعات، وأداة قمع فكري وإرهاب ثقافي وتخدير وترويضهم وإلهائهم عن مشاكل الحياة التي يعانونها من جراء النهب الاستعماري لبلدانهم. وعلى هذا الأساس يقوم الإعلام الاستعماري بمهمة تسميم المجتمعات وتخريبها روحياً وسياسياً وثقافياً.

أما في البلدان المستقلة والثورية فإن مهمة الاعلام تقوم على أساس التمسك بالحقائق والصدق، والتعبير عن طموحات الشعب وآماله، وبث الأفكار والمعتقدات الصحيحة بين الناس.

ويقول آية الله الخامنئي في حديث له عن رسالة الإعلام (إن الاعلام في العالم الغربي يقوم على أساس الكذب والتضليل وعرض ما هو خلاف الواقع، ولكن هدفنا من الاعلام هو قلوب الناس وليس أعينهم وأذانهم وحواسهم. إن أعلامنا يقوم بالحكمة والموعظة الحسنة والأساليب الإلهية والإنسانية فالإعلام في الإسلام يعني إيصال نداء الحق بأي سبيل ممكن إلى قلوب البشر.

إنّ الاستكبار العالمي يمارس حرباً إعلامية مكثفة ضد الجمهورية الإسلامية وضد العقيدة الإسلامية، وهو يمتلك أجهزة إعلامية رهيبية، فحجم الإعلام الغربي هو بمعدل سبعة آلاف ومئة ساعة أسبوعية موزعة على النحو الآتي:

أميركا: (2100) ساعة وبستين لغة:

المانيا الغربية: تسعمئة وخمسون ساعة.

بريطانيا: ثمانمئة وخمسون ساعة وبخمس وأربعين لغة.

وهكذا الأمر بالنسبة لليابان والدول الغربية الأخرى.

وفي العالم الشيوعي، فإن كثافة الإعلام تكاد تكون متساوية مع الغرب، وهي بمعدل سبعة آلاف ساعة اسبوعياً موزعة على النحو الآتي:

الاتحاد السوفيتي: ألفان وثلاثمئة ساعة بثمانين لغة.

دول أوروبا الشرقية: ألف وستمئة ساعة.

الصين: ألف وخمسمئة ساعة.

إنّ ساحة الإعلام في العالم أشبه بساحة الحرب التي تعتمد الاستراتيجية الفعالة، والفنيين وغرفة العمليات، والأموال التي تنفق على الاعلام هي أموال طائلة من أجل مواجهة العالم الإسلامي كقطب ايدولوجي معارض للفكرين الشرقي والغربي، ولهذا فإنه يجدر بمفكري العالم الإسلامي أن يولوا اهتمامهم لهذا الموضوع ويجندوا جميع طاقاتهم للتصدي للإعلام الغربي والاعلام الالحدادي). [1]

إنّ الحرب الإعلامية التي شنتها وتشنها الدول الغربية على الدول النامية والحكومة الشعبية المستقلة لا تقل خطراً وتدميراً على حروبها الاقتصادية التي تتولاها الشركات الاحتكارية الكبرى والشركات المتعددة الجنسيات، ولا تقل خطراً وتدميراً عن حربها العسكرية واعتداء اساطيلها وبوارجها الحربية على مدن الدول المستقلة وعواصمها، وبما أن الجمهورية الإسلامية في إيران كانت من أكثر البلدان الثورية التي تعرضت للحرب الإعلامية الغربية فإننا سنتعرض لجزء منها:

أ. وكالات الأنباء:

استغلت وكالات الأنباء الغربية اقطاعيتها الخبرية لترويج مقولات تهدف إلى زعزعة الوضع الداخلي في إيران، وقد ركزت برقيات تلك الوكالات على الفوضى، وتوقف المعامل عن الإنتاج، وازدياد الاسعار بشكل جنوني ونفاد المواد الغذائية من الأسواق. وكان هدف تلك البرقيات ترويض وصياغة أفكار الرأي العام الإقليمي والدولي للتأكيد على أن الإسلام لا يصلح لإقامة دولة عصرية، وجاء في احصائية قامت بها إحدى المؤسسات الصحفية ان 85% من الأخبار والتعليقات التي بثتها وكالة الأنباء الفرنسية في عام 1985 عن الأوضاع الداخلية في إيران مجافية للحقيقة و 90% من أخبار وكالة الاسوشيتدبرس وتعليقاتها مصاغة بشكل أو بآخر للتأثير على الرأي العام الإيراني، وجعله يقف ضد حكومته، ومحاولة تخريب أفكاره وتسميمها سياسياً وعقائدياً.

كما أن 91% من تعليقات وكالة اليوناييتدبرس وأخبارها مصاغة على غرار وكالة الاسوشيتدبرس حول الأوضاع الداخلية في إيران، وأن 87% من أخبار وكالة رويتر وتعليقاتها حول إيران كان تستهدف تغيير قناعة الرأي العام وتلقينه بعدم مقدار الثورة الإسلامية على الصمود أمام ضربات المعارضين لها.

ب . الإذاعات:

وقد تحدث آية الله الخامنئي عن كثافتها وتكرار عنها ليس ذا جدوى.

ج . الصحف والمجالات:

تشير الاحصاءات العالمية إلى وجود ثلاثة آلاف مجلة وجريدة في الدول الغربية، وقادت غالبية تلك الصحف والمجلات حملة مدروسة لقلب الحقائق، وشنت حرباً نفسية رهيبة بهدف التمهيد للإطاحة بالنظام الثوري الذي تمرد على الأوامر الغربية وحطم الإحلاف العسكرية في البر الآسيوية وأقام دولة معادية للنهج الاستعماري.

وكان استراتيجية مقالات تلك الصحف ودراساتها قائمة على اساس الكذب وتزوير الحقائق وتكرار الكذب والصراخ ثم التعليق على الكذب حتى يصدق الرأي العام كاتبى تلك المقالات والدراسات. وكانت التعليقات والأخبار تتركز على الاعدامات والقتل والبكاء على بقايا السافاك وجنرالات الجيش الشاهنشاهي، الذين ارتكبوا أفضع المجازر بحق الشعب الإيراني، وتجاهلت الصحف الغربية التحولات الكبرى التي حصلت داخل إيران خلال عامي 1979 . 1980 واهتمت بقضايا هامشية مثل السيطرة على السفارة الأمريكية من قبل الطلاب واغلاق مقرات البهائية والماسونية، واتهام الحكومة الإيرانية بممارسة الارهاب بسبب إغلاقها لتلك المقرات المشبوهة.

وخلال عامي 1981 . 1982 ركزت غالبية مقالات الصحف الغربية على انتصار النظام العراقي في حربه ضد إيران وقرب سقوط الثورة الإسلامية، وانهيار أسسها وتفكك الأجهزة الحكومية. ولم تورد تلك الصحف أخبار التغييرات التي حصلت في البنى الثقافية والاقتصادية والاجتماعية في إيران، وقد وردت أخبار قصيرة عن اشتراك مئات الآلاف في صلاة الجمعة بطهران، وكانت التعليقات عليها بأن هذه التجمعات عودة إلى التخلف وتذكر الغرب بحملات المسلمين على الدول الأوروبية في العهد الوسطى.

وبعد نجاح القوات الإسلامية بطرد القوات العراقية من الأراضي الإيرانية وتحرير ميناء خرمشهر تحولت مقالات الصحف والمجلات الغربية إلى التحدث عن الارهاب الإيراني ومخاطر التوسع، في حين تجاهلت

تصريحات كبار المسؤولين الإيرانيين التي تنص على أن الثورة الإسلامية لا تطمع بشبر واحد من أراضي جيرانها.

ومنذ منتصف عام 1985 اتخذت الحرب النفسية التي شنتها كبريات الصحف الغربية أنواعاً مختلفة منها قرب تشردم إيران وبعثرة قوات الحرس الثوري والجيش بعد وفاة الإمام الخميني، والخطط السوفيتية لاحتلال إيران، وسوف نستعين بمقال للكاتب الأمريكي (وليم سافاير) في نيويورك تايمز بتاريخ 1985/8/25 تحت عنوان (ماذا تفعل أميركا لو دخل السوفيت إلى إيران).

يقول وليم سافاير (تغطي سحابة من الدخان سماء الحرب العراقية - الإيرانية التي تعتبر من أكثر الحروب دموية في هذه الفترة من تاريخنا حيث وصل عدد القتلى إلى مليون شخص حتى الآن، فبعد أن بدأت إيران تحركها في الشمال ردّ العراق فاستهدف جزيرة خرج في خطوة مغزاها منع تصدير مليون برميل من النفط الإيراني يومياً. وإذا كان هذه الضربة ناجحة فمن المتوقع أن توجه إيران ضربة إلى الناقلات المحملة بالنفط والمتجهة من العراق إلى أماكن أخرى، وفيما لو دام التصعيد في حرب الخليج سيتوقف لوقت معين تراجع أسعار النفط وربما إلى انخفاض في نسبة التمويل العربي للديون الأمريكية، وقد يؤدي إلى زيادة في نسبة التضخم في الولايات المتحدة وبالتالي إلى ازدياد الفوائد في البنوك.

والواقع أن عدم مبالاة أمريكا بالحرب العراقية - الإيرانية هو خطأ، وربما يتبلور الآن تحدٍ استراتيجي علينا أن نحضر أنفسنا لمواجهة، ولو افترضنا أن الحرب ستدوم وسيزداد شعور الإيرانيين بضرورة وضع حد لها وإذا افترضنا موت آية الله الخميني فإن هناك احتمالاً قوياً بحصول ثورة وسوف تقدم إلى ميخائيل غروباتشوف فرصة تحقيق حلم روسيا القديم بالاستيلاء على مرفأ في المياه الدافئة والاستيلاء على إيران، والمفروض أن يكون لدى الولايات المتحدة مشروع طارئ لمواجهة محتملة مع جيش روسي مجهز بالأسلحة يحاول العبور إلى إيران، على الولايات المتحدة أن تتأكد من أن المتفرج الكبير الآخر يعرف ما هي استعدادات أميركا).

إنّ العالم بأسره شاهد كيف تم انتخاب آية الله الخامنئي بعد رحيل الإمام الخميني إلى الفردوس، وان الشعب الإيراني بأجمعه بايعه قائداً للبلاد، ولم تحدث أي مشكلة أمنية في تلك الفترة. وأن من يقرأ مقال

الكاتب الأميركي (وليم سافير) الآن أو في الفترة التي تلت وفاة الإمام الخميني يعرف كيف يشن الغرب الحرب النفسية على الشعوب الثائرة من أجل تحطيم معنوياتها.

وفي المقابل شهد الإعلام الإيراني في عهده الثوري بروز اتجاهات ثقافية رفيعة المستوى لتلبية احتياجات الفئات الثقافية والفكرية في البلاد في العالم الإسلامي. مع توجيه الدعوة إلى كبار الباحثين والعلماء والمفكرين لتقديم اسهاماتهم وعرض وجهات نظرهم إزاء تطوير الإعلام الإسلامي، وقد خصصت منظمة الإعلام الإسلامي في عام 1989 مؤتمرها العام للإعلام الإسلامي ووسائل تطويره، وقد اشترك في المؤتمر أكثر من ألف مفكر واستاذ وصحفي من إيران ومن البلدان الإسلامية ودول العالم الثالث كافة وتوصل المؤتمر إلى نتائج مهمة على هذا الصعيد.

[1] من كلمة آية الله الخامنئي أمام مؤتمر الفكر الإسلامي السابع / 4 . 2 . 1989.

قامت استراتيجية آية الله الخامنئي ونظريته حول مستقبل العالم على توكيد الدور المستقل لكتلة عدم الانحياز في السياسة العالمية. فهذه الكتلة تضم أكثر من مئة دولة. ولها تأثيرها المهم في رسم الخارطة الجديدة للعالم من خلال الأمم المتحدة، وتحجيم الدور الأمريكي الذي بات وحيداً في العالم بعد انشغال الاتحاد السوفيتي بقضاياها الداخلية ونبذه للايديولوجية الشيوعية واعلانه من انتهاء الحرب الباردة التي استمرت حوالي الأربعين عاماً.

لقد سعى آية الله الخامنئي إلى معالجة الأمراض الذي غزت جسد حركة عدم الانحياز وكادت تشل فاعليتها، ومن هذا المنطلق كانت مشاركته الفعالة في مؤتمر القمة الثامن للحركة الذي انعقد في حراري عاصمة زيمبابوي، وقد ادى حضوره في القمة إلى زرق دماء جديدة في جسد الحركة وسوف نلقي الضوء الخاطف على أهم النقاط التي وردت في خطابه.

أولاً: ايجابيات الحركة

إنّ من أهم الظواهر التي شهدتها السياسة الدولية في منتصف الخمسينات من هذا القرن انبثاق سياسة الحياد وعدم الانحياز، والتي اعتنقتها مجموعات كثيرة واسعة من الدول في آسيا وأفريقيا، حيث كانت القارة الآسيوية من أكثر مناطق العالم المهددة بمشاكل الأمن والحروب الناتجة عن التكتلات والاحلاف العسكرية والتي أقامتها الدول الغربية في العديد من الدول الآسيوية، وأدت إلى نشر بذور الشقاق بين دول القارة. وفي وسط هذا المناخ السياسي انبثقت فكرة معاداة الأحلاف الأجنبية وتعاضم النزعات الحيادية في آسيا.

والى جانب ذلك تمكنت بعض الدول الأفريقية من نيل استقلالها عن الاستعمار الغربي، وأعلنت عن تبنيها سياسة الحياد، ويعتبر مؤتمر باندونج بمثابة التجسيد الأول للفكرة فقد دارت مناقشات المؤتمر في جو مشبع بروح الكراهية للاستعمار باعتباره السبب الرئيس وراء معظم المشاكل السياسية والاقتصادية، والعنصرية والتي عانت منها الدول الأفريقية والآسيوية ودول الشرق الأوسط.

وتوصل المؤتمر إلى وضع مبادئ تنظم العلاقات الدولية، ومن أبرزها وجوب احترام حقوق الإنسان الأساسية، واحترام مبادئ ميثاق الأمم المتحدة، ووجوب احترام السيادة الوطنية لجميع الدول وسلامة أراضيها ومصالحها الاقتصادية، والتعهد بالامتناع عن التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى، واحترام حق كل دولة في الدفاع عن نفسها انفرادياً وجماعياً وفقاً لميثاق الأمم المتحدة، والامتناع عن استخدام التكتلات والاحلاف العسكرية والتنظيمات الجماعية الدفاعية لخدمة المصالح الذاتية للدولة الكبرى وتجنب الاعمال أو التهديدات العدوانية واستخدام العنف ضد السلامة الإقليمية أو الاستقلال السياسي لأي بلد، والحث على تسوية المنازعات الدولية بالطرق السلمية.

وتعتبر آية الله الخميني نفس انبثاق تلك المبادئ هو تعبير عن تمرد البلدان المستقلة في العالم الثالث وانتفاضتها ضد النظام السلطوي. ويقول سماحته:

(واليوم لا يعرف العالم الثالث إطاراً لتحركه وتنسيق مساعيه أفضل من حركة عدم الانحياز ونحن من أجل تقويم المعطيات أو نقاط الضعف، ينبغي أن نرى ما فعلته الحركة في هذا الطريق أي طريق رفض نظام فرض السيطرة وإبداله بعلائق عادلة لتتلقى الدروس من الماضي ولتتخذها سنداً لبناء المستقبل.

الحركة في ربع قرن من حياتها كان لها معطيات ملموسة: فتأثير اجتماع باندونغ في تصعيد وتسريع النضال المعادي للاستعمار أدى إلى أن يعتقد عدد غير قليل من بلدان العالم الثالث أن أمنه واستقلاله رهينان بانضمامه إلى الحركة، وموقف الحركة في دعم حركة التحرر والكفاح المعادي للاستعمار خطوة تستحق التقدير ولعلها الفريدة على الساحة الدولية للاطاحة بالنظام السلطوي الحاكم على العالم، وفي حقل مواجهة السلطة الاقتصادية على بلدان العالم الثالث بذلت الحركة منذ السبعينات مساعي كبيرة لطرح نظام جديد في الاقتصاد الدولي أدى إلى انتشار وعي عالمي واسع، ولم تم التخطيط للخطوات التالية بجد فمن المؤمل أن يكون لها تأثير ملحوظ في كسر الشبكة الاقتصادية المخيفة المسلطة على العالم الثالث.

ففي السبعينات والثمانينات إذ كان التوتر بين القطبين في ذروته، وكان كابوس إبادة البشرية بحرب ذرية يبعث الرعب في المجتمعات البشرية بشدة، استطاعت الحركة طرح أفكار سلمية وحثت على محادثات نزع السلاح، وكان لها تأثير على تقليل التوتر إلى حدٍ ما والمساعدة على نشر الوعي على الصعيد العالمي.

ويجب أن نضيف إلى هذه المكتسبات ازدياد تأثير الحركة التدريجي على منظمة الأمم المتحدة ازدياد جعل صوت غير المنحازين يطرح فيها على أنه صوت مجموعة واحدة، مما عرض سيطرة القوى الكبرى الواسعة على منظمة الأمم المتحدة إلى الخطر من جهة، ومن جهة أخرى كشف . ولو على مستوى ضيق . قدرة الشعوب وأن شعور القوى الكبرى بالخطر هذا محسوس تماماً في مواقف أميركا الأخيرة تجاه الأمم

المتحدة[1]

إنّ آية الله الخامنّي يشير إلى الموقف الأميركي الذي أعلنه الرئيس الأميركي الأسبق رولاند ريغن، والقاضي بالانسحاب من الأمم المتحدة في حالة موافقتها على المشروع الإيراني بطرد إسرائيل من الأمم المتحدة، والذي حاز على أكثرية أصوات دول عدم الانحياز. ومن أجل تجميد المشروع الإيراني قام الرئيس الأميركي باتخاذ سلسلة من الخطوات للضغط على الأمم المتحدة، ومن بينها: التهديد بوقف المساعدات المالية الأمريكية للمنظمة الدولية، ووقف المساعدات الاقتصادية والعسكرية لكل دولة تصوّت لصالح المشروع الإيراني، كما أن الإدارة الأمريكية هددت بوقف المساعدات المالية لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونيسكو) إذا وافقت الدول المنظوية تحت لوائها على انضمام دولة فلسطين (اليونيسكو).

وقد لقي التهديد الأميركي استهجاناً عالمياً لأنه يتعارض مع القيم والمبادئ الإنسانية، ويتعارض مع ميثاق (اليونيسكو) الذي تنص مادته الثانية والمتعلقة بعضويتها على أنها تشمل الدول التي تتمتع بعضوية الأمم المتحدة أو التي يوافق ثلثاً أعضائها على انضمامها إلى اليونيسكو وبناء على توصية من المجلس التنفيذي.

ثانياً: الأمراض التي انتشرت في جسد الحركة:

انتشرت بعض الأمراض داخل جسد حركة عدم الانحياز خلال ربع قرن من الزمن، نتيجة الضغوط التي تمارس على بعض دول الحركة من قبل الدول الكبرى، وبسبب عدم الاستقرار السياسي الذي تعاني منه معظم دول الحركة، والذي يدفعها إلى خوض حروب ضد شعوبها أو ضد جيرانها واضطرابها إلى عقد معاهدات عسكرية والانضمام إلى أحلاف غربية، وكانت الولايات المتحدة تطبق سياسة الاحتواء بحجة تطويق الاتحاد السوفيتي بجدار سميك وعازل عبر تلك الاحلاف وأضعاف الدول غير المنحاز عبر الحروب البديلة، وقد حدد آية الله الخامنّي ضعف حركة عدم الانحياز بأمرين هما:

الأول . الابتعاد عن المبادئ الأساسية الأولى.

الثاني . عدم شعور الأعضاء بمسؤوليتهم تجاه المسائل العالمية.

إنّ الحروب التي شنتها الكيانات العنصرية ضد الدول المستقلة والمنظوية تحت حركة عدم الانحياز أدت إلى إضعاف الحركة على الصعيد العالمي، فقد وقفت الكثير من دول عدم الانحياز موقف المتفرج إزاء العدوان الصهيوني على الدول العربية وإزاء عدوان النظام العراقي على الجمهورية الإسلامية في إيران وإزاء العدوان الذي قامت به حكومة جنوب أفريقيا على دول المواجهة. ومن هنا يطالب آية الله الخامنئي بضرورة إنهاء سياسة العدوان فهو يقول:

(الشرق الأوسط باهميته الاستراتيجية ومصادر طاقته العظيمة كان دوماً مطمح أنظار القوى الكبرى، ومن هنا كان بشكل مستمر عرضة لمؤامراتهم وعدوانهم، وفرض النظام الصهيوني في هذه المنطقة استهداف دوام التآزم وخلق الأجواء لتدخل القوى الكبرى بشكل مستمر. وعلى هذا الأساس وضعت الجمهورية الإسلامية في إيران ضرورة القضاء على النظام الصهيوني في سلّم أولوياتها، وإنهاء تدخّل الشرق والغرب، وابعاد نفوذهما من الشرق الأوسط في صدر قائمة أهدافها).

أما عن دور حركة عدم الانحياز الأكثر جموداً وخموداً إزاء عدوان النظام العراقي على الجمهورية الإسلامية في إيران فيقول آية الله الخامنئي:

(أود أن أعلن بصراحة أن حركة عدم الانحياز إذا لم تستطع أنزال العقاب بالنظام العراقي على ما ارتكبه من جرائم بلغت حداً كبيراً من الوضوح والوثاقية، وأن نتخذ تجاهه موقفاً صريحاً وعادلاً، فلا ينبغي أن نأمل منها أية فاعلية اتجاه الاعتداءات والممارسات السلطوية للقوى الكبرى.

إن أدنى واجبات الحركة يقتضي:

1. إخراج النظام العراقي من الحركة، فارتكاب واحدة من جرائمه كاف لإخراجه من الحركة.

إنّ قرارات باندونغ وبلغراد تعلن بصراحة أن بدء الحرب جريمة ضد البشرية، فكيف يمكن تسويق استمرار عضوية العراق في الحركة؟

هل أننا تراجعنا عن موقف مؤتمري باندونغ وبلغراد؟

لقد منع ميثاق بلغراد بصراحة إنتاج واستخدام الاسلحة الكيماوية دون قيد أو شرط، ولكن العراق حتى بعد أدانته من قبل مجلس الأمن في الحادي والعشرين من شهر مارس (آذار) عام 1986 قد عمد أكثر من ثلاثة مرات إلى استخدام السلاح الكيماوي وبشكل واسع.

ثانياً. الاستفادة من تجربة هذه الحرب المدمرة للحيلولة دون اندلاع حروب عدوانية مشابهة.

ثالثاً. تنظيم برنامج لمعاقبة المنحرفين عن مبادئ عدم الانحياز في جميع المجالات والمصادقة عليه وتطبيقه. [2]

إنّ الدراسات العديد التي قامت بها منظمات حقوق الإنسان غير الرسمية في العالم استخلصت عدداً من النتائج المهمة حول الانتهاك البشع لحقوق المواطنين في العراق، فبلغت العقيدة العنصرية ذروة تطرفها وتعصبها وبصورة هستيرية لم يسبق لها مثيل وذلك عندما أمر صدام حسين بضرب مدينة حلبجة بالأسلحة الكيماوية والغازات السامة في آذار عام 1988 وكانت الأرقام الأولية لكارثة العصر تشير إلى:

(500) شخص عدد ضحايا المدنية الذين ماتوا على الفور بينهم ألف طفل وطفلة.

(15000) شخص اصابوا بجروح وبالعمى وتشوهات جسمية.

لقد تحولت مدينة حلبجة التي تعتبر عروس مدن كردستان العراق برجالها وأطفالها ونسائها إلى أكبر مختبر حي معاصر لما يمكن أن تفعله الغازات السامة حينما اغارت عليها الطائرات الحربية العراقية وقذفتها بعدة أطنان من القنابل الكيماوية والغازات السامة، وغطت الغيوم القاتلة سماء المدينة في لحظات.

وقال أحد الناجين وهو يصف ما حل بالمدينة: لقد نُخِل إلي أن سكان مدينة حلبجة يصرخون بصوت واحد (أنقذونا) وقد تساقط مئات الأشخاص موتى في الشوارع والأزقة، وعندما حاولت نقل زوجتي واطفالي إلى خارج المدينة شعرت بفقدان حواسي ولم استعدها إلا بعد ثلاثة أيام حيث وجدت نفسي في المستشفى والى جانبي طفلة وحيدة بقيت من بين كل أفراد العائلة البالغ عددهم (9) افراد. وعندما تحدث معي الطبيب باللغة الفارسية عرفت بأني أرقد في إحدى المستشفيات الإيرانية.

وفر آلاف الأشخاص من سكان مدينة حلبجة إلى التلال القريبة، وقامت الشاحنات والسيارات العسكرية والمدنية الإيرانية بنقلهم إلى المخيمات والمستشفيات، وكان المنظر أكثر من تراجيديا وأكثر من أن يوصف بالكلمات، فهناك امرأة شابة حملت طفلتها البالغة من العمر سنة واحدة وهي تصرخ: طفلتي الوحيدة تموت يا دكتور، ارجوك اعطها حقنة لانقاذها، فأنا لا أملك في الحياة سواها.

وكانت ردة الفعل على جريمة العصر في الصحافة العالمية كبيرة بحجم المأساة، فنشرت جريدة اللوموند الفرنسية مقالاً بقلم جاك ازنادر جاء فيه (بينما يتابع العراق قصفه الكيماوي ضد المدن الكردية، ناشد السكرتير العام للأمم المتحدة الطرفين المتنازعين بوضع نهاية لهذه الحرب، وجاءت المناشدة بعد استعانة الجيش العراقي بالأسلحة الكيماوية ذات الدمار الشامل في كردستان العراق. إن العراق لم يكذب الاتهامات باستخدام الاسلحة الكيماوية مما يشكل اعترافاً شبه رسمي من قبله).

وكتبت مجلة (لايوا) الفرنسية مقالاً بقلم كاتبها بيروبايلو ورد فيه (مدينة حلبجة هي مدينة من كردستان العراق يبلغ عدد سكانها سبعين ألف قبل الحرب وبقي نحو خمسين ألف منهم عندما استولى عليها حراس الشوار الإيرانيون وحلفاؤهم الأكراد، وفي الساعة الثانية بعد ظهر يوم السادس عشر من آذار القت الطائرات العراقية عدة قنابل نشرت فوراً دخاناً أصرف وأبيض على المدينة. وفي الحال قُتل المئات بل ولربما آلافاً من الأطفال والصبية وقد شاهدت النساء يشدنّ اذرع الأطفال إلا أنهم ماتوا مثلهن).

وكان المقال الافتتاحي لصحيفة نيويورك تايمز بعد يوم واحد من المأساة الكبرى قد دار عن حلبجة ومما جاء فيه (إن الولايات المتحدة لا تريد انتصار إيران في هذه الحرب، وانها شجعت الحكومة العراقية على إنتاج الأسلحة التدميرية والأسلحة الكيماوية. كما أنها أعطت الضوء الأخضر للحكومات الأوروبية الحليفة لها لتزويد العراق بالمواد الكيماوية وها هم آلاف الأكراد يلفظون أنفاسهم الأخيرة في مدينة حلبجة بشمال العراق، وإذا كانت حكومة الرئيس العراقي صدام حسين تريد من دول الشرق والغرب أن تدعمها في الحرب لوقف الثورة الإسلامية فإن عليها أن تضع في حسابها وضع حد لجرائمها البشعة وتصرفاتها اللاإنسانية والتي تؤرق الضمير الإنساني).

وكتبت مجلة جون افريك تقريراً عن مأساة حلبجة ورد فيه (إن الربيع في الجبال الكردية يعتبر عيداً مشرياً، فهذا الشعب اعتاد على أن يرى الولادة الأولى للزهار الطبيعية في بلاده، إلا أنه في هذا العام انفجرت الحياة في كل مكان تحت بطن طائرات الهليكوبتر والطائرات النفاثة العراقية والتي حملت معها الموت إلى هذه المدينة الجميلة. إن ربيع عام 1988 فاحت منه رائحة الغاز السام وتحت البركان صار اسم مدينة حلبجة مرادفاً لاسم هيروشيما وضاحية ناكازاكي).

وكتبت مجلة الاكسبريس دراسة بقلم اثنين من كبار محرريها زار مدينة حلبجة وجاء فيها (إنّ هذه الوثائق المأخوذة من مدينة حلبجة تثبت القصف الكيماوي الذي قام به حكام العراق لكردستان العراق. فالسلاح بسيط إلا أنه يشكل أسطورة من الخوف في الحروب الإقليمية والدولية.

إنّ الحرب الكيماوية شهدت صورة جديدة، فهناك مدينة كبيرة في الشمال الشرقي من العراق يبلغ عدد سكانها 70 ألفاً من الأكراد أضحت مدينة للرعب الكيماوي من قبل طائرات صدام حسين، حيث مات حوالي خمسة آلاف شخص وجرح حوالي العشرين ألف وكلهم من المدنيين. إنّ صدام حسين لم يأت بجديد. ففي القرن الرابع عشر أقدم التتار على حرب مماثلة فقتلوا الأبرياء والملاجئين داخل أسوار المدن، واليوم أضاف صدام حسين جريمة بشعة إلى سجل جرائمه السابقة).

إن جريمة صدام حسين في استخدامه السلاح الكيماوي تنطوي على اخلال واضح بالقانون الدولي، وتتعلق بإبادة الجنس البشري، ولكن كتلة عدم الانحياز ظلت صامته إزاء هذه الجريمة ولم تصدر حتى بياناً واحداً يستنكر الجريمة البشعة، ولو تحركت الحركة وأدانت هذه الجريمة وطالبت الهيئات الدولية بمحاكمة صدام حسين كمجرم حرب لكان بالامكان تفادي كارثة حرب النفط التي أودت بحياة مئات الآلاف من البشر، واستنزفت الطاقات المادية والاقتصادية للمنطقة النفطية.

ثالثاً: علاج أمراض الحركة:

وضع آية الله الخامنئي العلاج الشافي لأمراض حركة عدم الانحياز على شكل الجرعات التالية:

أولاً . على الدول الاعضاء في الحركة أن تراعي بشكل كامل مبادئ الحركة في علاقتها بالبلدان الأخرى، وروح هذه المبادئ تتمثل في مقاومة التسلط ورفض كل أنواع السيطرة، ولا معنى على الاطلاق لأن تحمل بلدان صفة العضوية في الحركة وتضع . في الوقت نفسه . القواعد العسكرية أو الامكانيات اللازمة للسيطرة الاقتصادية والثقافية تحت تصرف القوى الكبرى.

ثانياً . فكرة عدم الانحياز وإرادة المقاومة أمام الهجوم السلطوي ينبغي اشاعتها بشكل واسع بين الشعوب، إذ لا سند أقوى لمواجهة القوى السلطوية بشكل جدي أفضل من تأهب الجماهير، وينبغي للحركة أن تكون حاملةً لراية العدل وراية المقاومة تجاه التسلط في العالم، وأن لم تتوفر قدرة مواجهة الهجوم والعدوان على الشعوب بشكل مباشر فلا بد من أن يتوفر الصوت المرتفع المندد بالمعتدي والظلم، والمدافع عن حق ضحايا الظلم والتسلط.

ثالثاً . توسيع نشاط الدول غير المنحازة ولما كان نشاط نظام التسلط لا يقتصر على البعد السياسي بل استطاع أن يفرض منطقته الثقافي الخاص وأن يوجد شبكة اقتصادية وإعلامية تابعة له فالدفاع أمامه يجب أن يكون شاملاً. وفي اعتقادنا إنّ الجوهر الإنساني في البشر هو المحور الأصلي، ولذلك فإن النشاطات ذات البعد الثقافي ينبغي أن يكون لها المجال الواسع. ومن جهة أخرى، فإن زيادة وعي الشعوب سياسياً

ستشكل سداً منيعاً أمام السيل الجارف للثقافة السلطوية الممهدة لطرق النفوذ العسكري والسياسي والاقتصادي والمحافظة على بقاء الشبكة السلطوية.

إن إقتصاد العالم الثالث في ظل نظام التسلط انحدر إلى وضعه الطفيلي الحالي، وبهذا الوضع اضطرت حكومات العالم الثالث إلى أن ترضخ الواحدة بعد الأخرى للتسلط السياسي مقابل تسهيلات اقتصادية مؤقتة، في حين يتمتع العالم الثالث بمواهب إلهية سخية: المواد الأولية، مصادر الطاقة، الذخائر الطبيعية، وهذه الطاقات توضع تحت تصرف القوى الاقتصادية العالمية مجاناً، ومن أجل احلال روابط منطقية عادلة بين البلدان المتطورة والعالم الثالث فإن على الحركة أن تنهض بمسؤوليتها المبدئية في تسهيل التعاون بين الأعضاء.

رابعاً. إن عملية انتماء البلدان إلى الحركة خلال ربع قرن من حياتها كانت في تزايد ملحوظ، وقد شملت اليوم أكثرية الشعوب، وعلى هذا الأساس فإن الحركة في هذه المرحلة من حياتها مكلفة بما يلي:

أ. تدوين منهج سياسي وثقافي واقتصادي لإدارة العالم، وأن تتدخل الحركة بشكل فعال في تعيين مسيرة حركة المجتمع الدولي بدلاً من أن تكتفي بالتصدي للمشاكل.

ب. الاتجاه نحو هدف جديد في كفاحها التاريخي وذلك بفتح جبهة ثقافية قيمة، فالدول الفاتحة في الحرب العالمية الثانية، وخاصة زعماء القطبيين السياسيين، فرضوا على سائر الشعوب أسسهم القيمة والأخلاقية والثقافية عن طريق الروابط والقوانين الدولية المنبثقة عن فترة ما بعد الحرب، وكان للعالم الثالث دورٌ ثانوي في تعيين تلك المباني القيمة، مثل ميثاق حقوق الإنسان العالمي وأسس أحكام المنظمات الدولية بشأن مسألة حقوق الإنسان، وهما غير متأثرين إطلاقاً بالقيم الإلهية وبنظرات العالم الثالث.

ج . يجب تنظيم الروابط بين بلدان عدم الانحياز بمعزل عن القيم المادية البعيدة عن إطار العالم الثالث، فأكثرية الأصوات في أكثر المحافل الدولية تعود لنا وعلينا أن نستثمر هذه القوة في تدوين القوانين الدولية.

د . ضعف العالم الثالث ناشيء مباشرة ودونما واسطة عن ضعف أخلاقي وثقافي، في الواقع ليس العالم الثالث فحسب بل المجموعة الدولية كلها تعاني من أزمة أخلاقية، وأن عامل فتح الطريق أمام صدور الأزمة الاقتصادية من الشمال إلى الجنوب هو العوامل اللاأخلاقية والثقافة المنحطة المصدرة إلى الجنوب.

وإن النتائج الملموسة للثورة الإسلامية الإيرانية الكبرى . والتي هي قبل كل شيء ثورة ثقافية واخلاقية . تؤيد ذلك . الثقافة الاستهلاكية، والابتذال والفحشاء وردت إلى العالم الثالث لاعن طريق مرافقة واردات البضائع الصناعية فحسب بل أيضاً تحت اسم انتقال العلوم والتكنولوجيا. وأن الحركة نجحت . لحسن الحظ . خلال العقدين الماضيين في أن ترفع من مستوى التوعية الاجتماعية للعالم الثالث تجاه مظاهر الضعف السياسية والاقتصادية المهيمنة على الروابط الدولية، لكن نمو هذا الوعي لم يكن متناسباً مع التوعية الأخلاقية والنشاطات الثقافية[3]

إنّ المفكرين الإسلاميين وفي طليعتهم آية الله الخامنئي يرون من الضروري جداً تبني حركة عدم الانحياز ايدولوجية الإيمان بالشرائع الإلهية لأن هذا الإيمان سيمنح الحركة قوة دفع ذاتية، ويسرع في حركتها نحو الإمام. فهناك أكثر من مليار مسلم يشكّلون خمس عدد سكان المعمورة، ويعيشون في مساحة جغرافية واسعة من العالم، وهم يمتلكون ثقافة حقيقية نابعة من العدل الاجتماعي والمساواة بين الأجناس والقوميات، وتحارب الاستغلال والعبودية البشرية، وهي تقف بمواجهة الايدولوجيات الإلحادية والمادية المعاصرة، مثل الشيوعية والرأسمالية، وبإمكان ايدولوجية الإيمان شد الرأي العام الأفرو . آسيوي بعري شديدة وبروابط قوية، وأن تمد واضعي القرارات السياسية الخارجية في دول عدم الانحياز بالميل في

اتجاه فكري سليم واتخاذ قرارات صحيحة، وسوف يصبح التجانس واضحاً بين الأيديولوجية التي يتبناها الرأي العام وسياسة حكومته.

وفي الوقت نفسه، فإن بإمكان حركة عدم الانحياز العمل على تدعيم الثقافة والعلوم ونشرها في الدول الأفرو-آسيوية عن طريق تسهيل الحصول على التعليم، وتنشيط الدراسات العلمية والثقافية. ودعم جهود العلماء والأدباء والفنانين وتحطيم الحواجز التي تحول دون انتقال الفكر والثقافة بين دول الحركة وتقديم المساعدات المالية والفنية لدولها الفقيرة في ميادين التربية والثقافة والعلوم، وإنشاء يونيسكو تابعة للحركة على غرار اليونسكو التي أنشأتها الأمم المتحدة.

إن على حركة عدم الانحياز بذل جهود كبيرة من أجل إقامة مشاريع ثقافية كبرى لمواجهة الأساليب الثقافية الغربية الجديدة، ومنها البث التلفزيوني المباشر عبر الأقمار الصناعية، والذي يعطي القدرة لتلك الدول على نقل المعلومات وتوصيلها إلى دول العالم الثالث أو حجبها أو تزييفها أو جعلها تلعب الدور الأساس في صياغة أفكار الشعوب الأقل تطوراً وإخضاعها لقيمتها الخاصة، وضمن هذا الإطار يفسر الدكتور محمد سليم العوا ما يثيره هذا البث المباشر من هجوم على القيم الإسلامية والعربية، والتقاليد المحلية لأسباب متعددة أهمها:

أولاً: إن معظم الجمهور المتلقي لا يتمتع بثقافة التمييز والقدرة على الفرز وترك غير المفيد من هذه البرامج التي يستقبلها.

ثانياً: إن البث لهذه المواد يتضمن إحياءات غير مباشرة تؤدي في النهاية إلى زعزعة اليقيني من القيم الإسلامية والعربية.

ثالثاً: إنه سيقتل ما نسعى جميعاً إلى إقامته وهو مشروع النهضة الحضارية وإن لم يقتلها فإنه سيؤخرها إلى آماذٍ بعيدة.

رابعاً: وهو أخطر تحدٍ يواجه الدول النامية والدول العربية في تاريخها، وهو التحدي الرامي إلى محاولة إقناع جماهيرنا بوجود الكيان الصهيوني الإسرائيلي، بحيث نتعامل معاً ونعيش حياتنا العادية في ظل وجوده، وبالرغم من قبول الحكام العرب بهذه الحقيقة بقيت مقاومة الشعوب الباسلة، فالذي لم تستطع قوى الاستعمار تحقيقه في الماضي ولا قوى العمالة المحلية في الحاضر تحاول أجهزة الإعلام الأجنبية تحقيقه الآن، وليس سراً أن الصهيونية العالمية تدير هذه الأجهزة من الألف إلى الياء).

[1] برجاء النظر الى (آراء الجمهورية الإسلامية حول القضايا العالمية) ويتضمن نص خطاب آية الله الخامنئي في مؤتمر قمة عدم الانحياز المنعقد في زيمبابوي، والنص المذكور منشور في ص 15 . 16.

[2] آراء الجمهورية الإسلامية حول القضايا العالمية.

[3] آراء الجمهورية الإسلامية حول القضايا العالمية / ص 19 . 22 ، 43.

يقدم آية الله الخامنئي طرحاً جديداً في نظريته حول مستقبل عالمنا المعاصر إزاء المشاكل والأزمات الناتجة عن صراع القوتين الكبريين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي، والذي استمر أكثر من أربعة عقود من الزمن، وتأثير ذلك الصراع على شعوب العالم الثالث، فهو يقول:

(إنّ ظروف عالمنا المعاصر متأزمة إلى حدٍ بعيد، وتهدد مستقبل البشرية ومستقبل الأجيال القادمة، فهناك قسم كبير من مصادر العالم الاقتصادية وثرواته تهدر نتيجة سباق التسلح بين الشرق والغرب والاحتكاك بين القطبين، وهناك التضاد المتزايد بين الشمال والجنوب، والذي ما زال مطروحاً باعتباره أكبر مشكلة عالمية.

وظرف مبادلة المواد الخام بالبضائع المصنعة قد تغيرت أكثر من ذي قبل على حساب الإضرار بالعالم الثالث، وتصدير الأزمات والقلق كان مقروناً باطراد زيادة تصدير الأسلحة إلى العالم الثالث. ونتيجة لهذا

الظلم المضاعف اتخذت مفاهيم التنمية والتوسعة في كثير من المناطق شكل شعارات غير قابلة للتطبيق، وقد امتدت عملية نهب ثروات العالم الثالث عن طريق أزمة القروض إلى مصالحي الأجيال القادمة أيضاً.

الممارسات العنيفة للاستعمار القديم تركت مكانها لأساليب أخفى واعقد واقدّر والمليتارية واستخدام القوة في الروابط الدولية، والنقض الحقيقي لحقوق الإنسان ونقض المقررات الإنسانية وحقوق الدولية، وإضعاف النظام الدولي متعدد الجوانب، وعدم تحمل القطبين القائمين اليوم لاستقلال الأنظمة الأخرى. والتهديد الذري للعالم وإنتاج واستخدام الإبادة الجماعية والعادية، وإفساد البيئة الطبيعية الإنسانية والمصادر الطبيعية كل تلك الأمور قد اتخذت ابعاداً جديدة خطيرة.

إنّ الأزمات الأخلاقية التي هي في الواقع أساس سائر الأزمات العالمية تهدد البشرية أكثر من أي وقت مضى والابتعاد عن قيم الأديان الإلهية التي هي أضمن معيار لتنظيم سلوك البشر أدى إلى فوضى أخلاقية وزلزل بشدة الأسس الثقافية للمجتمعات.

وازداد انتشار الفساد والفحشاء بسرعة كبيرة وبات يهدد أساس العائلة وتركيبها والتي هي الحجر الأساس في بناء المجتمع وقوام دوام الجيل وبقائه.

وإن النجاح في مواجهة الوضع المتفجر الموجود ومكافحته رهين بمساعٍ فورية مستمرة شاملة وعالمية، ولا بد من استثمار هذه الفرصة على أفضل نحو، وإلاّ فإن القسم الأعظم من مسؤولية استمرار الأزمات سيقع على عاتقنا.

تعالوا نقف لحظات لنلقي نظرة على عالمنا الكبير الصاحب من موضع يتعالى على المشاكل في أطرها الزمنية والمكانية، لا استصغاراً واستهانة بتلك المسائل التي يعرض كل منها شعباً لضغوط فظيعة، ويكبل ملايين البشر في جحيم من الظلم والفقر والجوع والحرب والمرض والجهل، بل لتمكن من الوقوف على قمة تتيح لنا فرصة مشاهدة بواعث كل تلك الظواهر المؤلمة وأطرها، ولتبيّن الهندسة المعوجة السقيمة المهيمنة على العلائق السياسية والاقتصادية الراهنة في العالم، والمسيطرة كذلك على تصورات الجلادين وضحاياهم على حد سواء، وهذا يتطلب ممن يروم الوصول إلى هذه الحقيقة إحساساً كبيراً بالمسؤولية وهمة عالية وأملاً ينضب، وأنه يرينا أيضاً المفتاح الحقيقي الحاسم لكل المشاكل ويصوننا من الانحراف، ومن تضييع الجبهة الحقيقية والخلط بين العدو والصديق.

إنّ المشكلة الأساسية تتلخص في عبارة واحدة وهي: إنّ العالم تقبّل النظام السلطوي، فليس فقط القوى الكبرى والقوى العظمى وأصحاب مناطق النفوذ في العالم خضعوا للنظام السلطوي، وإنما بلدانٌ وشعوبٌ وقادة من العالم الثالث خضعوا لذلك النظام أي نظام تقديم مصالح المتسلطين، حتى أضحى وكأنه قانون جبري لا يقبل التغيير.

وإذا كان نظام التسلط يتجلى في العصور الماضية بما كان يمارسه الأباطرة من غزو عسكري واسترقاق، فإنه اليوم يتبلور في شكل شبكة عالمية معقدة تبرز في مظاهر ومجالات كثيرة للغاية من حياة الشعوب، وقد استطاع النظام السلطوي أن يستحدث لنفسه نظاماً اقتصادياً خاصاً، وعلائق سياسية متميزة، بل أوجد فوق كل ذلك . الثقافة التسلطية . ولئن كان استعداد ودفاع الشعوب كافيين لمواجهة تسلط الأباطرة في الماضي فإن مجرد تحسيس الشعوب بالتسلط اليوم يتطلب جهوداً ونشاطات جادة، ومن هنا فإن تلك المواجهة قد اتخذت حقاً ابعاداً واسعة.

إنّ أقوى العالم انطلاقاً من امتلاكهم آلة القدرة فقط يتحكمون ويتدخلون، ويعيّنون النظام الاقتصادي وعلائق التعامل مع الضعفاء من جانب واحد، وهم يفسرون المفاهيم الإنسانية السامية كالحرية وحقوق الإنسان والمفاهيم الأخرى كالارهاب وأمثالها حسب رغبتهم، وبعبارة موجزة: إنهم يتصرفون في كل الصعد على أساس مصالحهم والشعوب والحكومات والزعماء في عالم الضعفاء هم يرون أيضاً كل ذلك قدراً سماوياً ومرضاً لا علاج له). [1]

إنّ آية الله الخامنئي من خلال تفصيله وشرحه للأبعاد الخطيرة للنظام الدولي المرتكز على الهيمنة الشائنة يحدد لنا عيوب ذلك النظام وهي تتلخص في الآتي:

أولاً: فتح أبواب سباق التسلح ليتجاوز الكرة الأرضية إلى الفضاء الكوني، وقد بدأت حمى عسكرة الفضاء مع قرار الرئيس الأميركي الأسبق دوايت ايزنهاور في عام 1956 الخاص بإنشاء المجمع الصناعي الحربي لاستخدام الفضاء الكوني في الأغراض العسكرية. وطبقاً لبرنامج (سبيس ترك) بدأت الولايات المتحدة في إعداد منظومة الأسلحة المضادة للأقمار الصناعية.

وفي عام 1959 أصاب صاروخ أمريكي من طراز (بولداريون) أطلق من القاذفة (ب . 47) قمراً صناعياً يدور حول الأرض. وفي عام 1961 نشرت الحكومة الأميركية منظومتين أرضيتين مضادتين للأقمار

الصناعية، واحدة في جزيرة كفالين والأخرى في جزيرة جونستون، واستمر التطور العسكري الفضائي يتنامى بشكل كبير حتى وصل إلى إنشاء مطار كوني عسكري للسفن المكوكية من طراز (شاطل) وتشكيل قيادة فضائية خاصة لإدارة العمليات العسكرية في الفضاء.

وقد صاحب هذا التطور العسكري الفضائي تطوير الأسلحة الذرية والأسلحة الاستراتيجية الهجومية، مثل صواريخ (ام أكس) و(ترايدنت) والقاذفات غير المرئية وصواريخ بيرشغ والصواريخ المجنحة بعيدة المدى. وقد أنفقت الولايات المتحدة خلال الأعوام 1980 . 1985 ما يزيد على (900) مليار دولار على التسليح، وانفقت (1000) مليار دولار لنفس الغرض خلال الفترة الممتدة من 1985 حتى عام 1990، وكانت الميزانية الإجمالية للبحث والتنمية في الولايات المتحدة قد بلغت (55) مليار دولار في عام 1987 وكان منها (37) مليار دولار مخصصة للأبحاث العسكرية.

أما الاتحاد السوفيتي فإن نفقاته العسكرية لم تقل عن نفقات الولايات المتحدة. فتشير الاحصاءات العالمية إلى قيام الاتحاد السوفيتي بانفاق (1800) مليار دولار على تطوير الاسلحة وصناعاتها الحربية خلال 1970 . 1990، وقد أثر هذا الانفاق على عمليات التنمية في جمهوريات الاتحاد السوفيتي وأحاطها بسور من التخلف الاقتصادي، وأثر بشكل كبير على تطور المجتمع السوفيتي، وعلى قطاعات الصحة والتعليم والثقافة، وعلى قطاع الصناعات المدنية الثقيلة، وعلى برامج الهندسة الوراثية.

وافرزت حمى سباق التسلح آثاراً سلبية في المجتمع الأمريكي وظهرت واقع التخلف الفكري الثقافي والعلمي في الولايات المتحدة الأمريكية، وتقول احصائية صادرة عن الأمم المتحدة إن انخفاض المستوى العام لتلاميذ المدارس في الولايات المتحدة أخذ يتزايد بشكل واضح، وتدل نتائج الفحوص على انخفاض العلامات . الدرجات الامتحانية . بنسبة 3% إلى 6% عما كانت عليه في اوائل الستينات . كما أن التلاميذ في الولايات المتحدة أقل مستوى من التلاميذ في اليابان وخاصة في مادتي الرياضيات والعلوم الطبيعية.

وكانت لسياسة سباق التسلح عواقب وخيمة على اقتصاديات العالم أجمع، وحرمت شعوب العالم من تحديث قطاعاتها الصناعية المختلفة بالتكنولوجيا المتقدمة، وخفضت وتيرة النمو الاقتصادي في الدول النامية، وفاقمت فيها من مشاكل البطالة والتضخم والقروض.

ثانياً: اشعل النظام الدولي المرتكز على الهيمنة الثنائية حروباً في قارتي أفريقيا وآسيا، وفي أميركا اللاتينية وكان من أبرزها:

1. الحرب الكورية: وقد اشتركت فيها القوات الأمريكية بشكل مباشر، في حين قام الاتحاد السوفيتي بمساعدة الحركة الوطنية الكورية بالسلح المتطور، وأسفرت الحرب عن تقسيم كوريا إلى كوريا شمالية وأخرى جنوبية.

2. الحرب الفيتنامية: وقد دخلت فيها القوات الأمريكية كطرف أساس وخسرت مئات الآلاف من القتلى والجرحى والاعلاء، وفي المقابل قام الاتحاد السوفيتي والصين بتقديم أشكال الدعم إلى الحركة الثورية الفيتنامية.

3. الحرب العربية . الإسرائيلية: وقامت الولايات المتحدة خلال بتقديم الدعم الهائل للآلة العدوانية الإسرائيلية. وأقامت جسراً جويّاً بين واشنطن وتل أبيب أثناء حرب تشرين الأول . أكتوبر عام 1973، وشجعت الحكومة الإسرائيلية على شنّ الغارات ضد الدول العربية، واحتلال مزيد من الأراضي وإقامة إسرائيل الكبرى.

4. الحرب الهندية . الباكستانية: واسفرت هذه الحرب عن انفصال منطقة بنغلادش عن باكستان، ونشوء دولة بنغلادش، وكان الهدف الأساس من الحرب، تمزيق دولة باكستان الإسلامية التي كانت تضم تجمعاً بشراً كبيراً.

5. الحرب العراقية . الإيرانية: وقامت الولايات المتحدة الأمريكية خلالها بتقديم المساعدات العسكرية والاقتصادية للنظام الحاكم في بغداد من أجل إخماد الوهج الثوري الذي احدثته الثورة الإسلامية في العالم.

6. الحرب الأهلية النيجيرية: وقد اندلعت الحرب بعد الاعلان عن انفصال اقليم بيافرا عن الأراضي النيجيرية وتشكيل دويلة بيافرا، وقامت الولايات المتحدة خلالها بتقديم الدعم المعنوي والمادي للحركة الانفصالية، ولكن الجيش النيجيري حسم المعركة لصالحه بعد معارك طاحنة، وبلغ عدد القتلى حوالي مليون شخص.

7. الحرب الأهلية الكونغولية: ترأس لومومبا أول حكومة وطنية بعد إعلان جمهورية الكونغو استقلالها عن الاستعمار البلجيكي في شهر حزيران من عام 1960، وقد تنبى لومومبا برنامجاً سياسياً داخلياً يقوم على أساس أن الاستقلال سيظل بلا معنى وناقصاً إذا لم يدعم بالتنمية الاقتصادية، وعلى هذا الأساس أخذ يسعى بحزم من أجل إنهاء السيطرة الاستعمارية على اقتصاد البلاد ووضع حد نهائي للوجود العسكري للدول الاستعمارية في الكونغو بشكل خاص وأفريقيا بشكل عام، ونقل قواعد حلف الناتو إلى الحكومات الوطنية التي توجد تلك القواعد داخل أراضيها، وتبني لومومبا خط عدم الانحياز وتحرير أفريقيا من الأنظمة الاستعمارية والعنصرية.

وإزاء خطورة هذا البرنامج على المصالح الغربية في أفريقيا قامت الحكومة البلجيكية بدعم مجموعة من الموالين للغرب والمرتبطين بشبكة مخابراتها بالاعلان عن انفصال اقليم كاتانغا عن الكونغو، وفي الوقت نفسه قامت مجموعة عسكرية أخرى باقصاء لومومبا عن السلطة، والقاء القبض عليه وإعدامه رمية بالرصاص، وقد اشعلت دماء لومومبا أزمة داخلية حادة وحرماً أهلية واضطراب الأمم المتحدة إلى التدخل عبر ارسال قوات الكونغو لإنهاء الأزمة.

إن باتريس لومومبا دخل تاريخ أفريقيا بصفته واحداً من أبرز قادة حركة التحرير الوطني، والداعية المناضلة لتصفية النظام الاستعماري، وما زالت كلمته (إن الاستقلال لن يقدم على طبق من ذهب، بل يجب إحراره بالدماء والتضحية) ما زالت في مقدمة برامج الحركات الوطنية في أفريقيا.

8. الحرب الأهلية اللبنانية: وقد تفجرت الحرب بسبب عوامل داخلية من بينها تفاقم الأزمة العامة البنيوية للنظام اللبناني ذات التركيبة الطائفية، وعوامل خارجية من بينها التغطية على جولات وزير الخارجية الأميركي هنري كسينجر بين القاهرة وتل أبيب والتي أسفرت عن توقيع أول معاهدة سياسية عسكرية بين إسرائيل ومصر. وكذلك للتغطية على اتفاقية آذار المعقودة بين الشاه وصادق حسين، وكانت تتضمن بنوداً سرية من بينها تعهد الشاه بانتهاء الحركة الكردية المسلحة في شماء العراق، مقابل تعهد النظام العراقي بالضغط على الحكومة السورية التي رفضت توقيع معاهدة مع إسرائيل على غرار معاهدة مصر.

إن تلك الحروب والصراعات أزهقت أرواح ملايين البشر تفوق إعدادهم عدة مرات عما سقط من قتلى وجرحى في الحربين العالميتين الأولى والثانية، وبلغت تكاليفها الآف المليارات من الدولارات، وأوجدت

مناخاً يقوم على أساس التسابق السريع نحو استيراد الأسلحة المدمرة وزيادة الانفاق العسكري بشكل جنوني، مما أعاق عمليات التنمية الاقتصادية، وخلق جيوشاً من العاطلين عن العمل في دول العالم الثالث، ومئات الملايين من الفقراء والمعدمين.

وفي المقابل يرى خبراء الاستراتيجية في العالم أن الدول الأوروبية كانت بعيدة عن الصراع والحرب داخل القارة الأوروبية، لأن اتفاقية(يالطا) في عام 1945 الموقعة من قبل الدول المنتصرة في الحرب العالمية الثانية استبعدت حدوث أي حرب ونزاع في أوروبا، لأن تلك الحرب ستقود الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي إلى مواجهة شاملة تدمر البلدين بشكل تام، وتعرض البشرية إلى خطر الإبادة النووية.

ثالثاً: التدهور الاقتصادي العالمي: أفرز نظام القطبية الثنائية ظروفًا اقتصادية حادة في العالم، انعكست بشكل مباشر على القطاعات الصناعية والمشاريع الإنمائية في دول العالم الثالث، والتي تميزت بتدني معدلات التنمية وتوقفها تماماً في العديد من البلدان الحديثة الاستقلال، بالإضافة إلى زيادة نسبة البطالة وارتفاع معدلات التضخم وارتفاع فوائد القروض عالمياً. وقد ادت تلك الظروف الاقتصادية الحادة إلى إضعاف حركة التوسع الصناعي والاقتصادي في العالم، وجعلت ظاهرة الكساد تسود قطاع التجارة الدولية.

وساهمت سياسة الاحتكار العالمية في توسيع دائرة الفروقات بين أسعار المواد الخام والمواد المعدنية المستخرجة من البلدان النامية من جهة، وأسعار الأجهزة المصنعة التي تستوردها تلك البلدان من الدول الصناعية الكبرى من جهة أخرى وضمن هذا الاطار نشرت احصائية صادرة عن منظمة الأمم المتحدة للتنمية الصناعية . اليونيدو . تقول إن (54) مليار دولار كانت خسارة البلدان النامية خلال عام 1986 . 1987 بسبب اتساع دائرة الفروقات بين أسعار المواد الأولية . عدا النفط . والمواد المصنعة، ويزيد هذا المبلغ بمقدار الضعف عن حجم المساعدات التي حصلت عليها البلدان النامية منذ عام1982 .

أما في القطاع النفطي فإنّ خسائر دول أوبك بلغت رقماً قياسياً جرّاء تدنّي اسعار النفط، وزادت على (200) مليار دولار خلال الأعوام 1985 . 1990 حسب احصاءات الأوبك، وأدّت تلك الخسائر إلى توقف مشاريع انمائية كبرى في بلدان النفط، والاستغناء عن العمال الوافدين، والذين يقدرون بأربعة ملايين عامل.

وتقول دراسة أعدها البنك الدولي إن عدد العمال الوافدين إلى البلدان العربية المستوردة للعمالة قد انخفض إلى الثلث بسبب تدني أسعار النفط، فمثلاً؛ قامت نيجيريا وهي عضو في الأوبك بطرد مليون عامل ينتمون إلى غانا، و(70) ألف آخرين ينتمون إلى بنين وتشاد والسودان وباقي الدول الأفريقية الفقيرة، وكان تحويل مدخرات هؤلاء العمال إلى أوطانهم يزيد على (20) مليار دولار سنوياً، وهي تساهم في تغطية العجز في الميزان التجاري لتلك البلدان، وتساهم أيضاً في تنمية القطاعات الصناعية والتجارية. وعلى الصعيد نفسه، لعبت الاحتكارات العالمية الدور الأساس في إنهاك اقتصاديات الدول النامية عبر اشغال حرب فوائد القروض والتي استهدفت الأمرين الآتين:

1. ممارسة الضغوط السياسية والاقتصادية على الدول المستدينة، وارجاعها إلى عهد الاستعمار البشعة، إذ تفرض الدول الغنية الدائنة شروطاً مجحفة تمس بالاقتصاد الوطني، وتعرض لمخاطر جديدة، ومن بينها إغراق أسواق الدول النامية المستدينة بمنتجات تتنافس المنتجات الصناعية المحلية مما يعرقل حركة التنمية فيها.

2. تحقيق أرباح خيالية من الديون. فتذكر الاحصاءات الاقتصادية العالمية أن كل مليون دولار تقدمه الدول الغنية الدائنة يعود عليها بفوائد تقدر بأربعة ملايين ونصف المليون دولار، وقد بلغت ديون العالم الثالث أكثر من (1000) مليار دولار.

وإزاء المخاطر الاقتصادية على الدول النامية دعا آية الله الخامنئي في العديد من المناسبات إلى زيادة التعاون بين دول الجنوب نفسها كما دعا إلى حوار جدي بين الشمال والجنوب لإحداث تعديلات في النظم والأساليب والسياسات الاقتصادية، وإيجاد نظام اقتصادي عالمي جديد من شأنه المساهمة في تعزيز الاستقلال الاقتصادي والاجتماعي للدول النامية، ورفع معدلات التنمية الاقتصادية والصناعية في دول العالم الثالث، وإيجاد الحل المناسب للمسائل الأساسية، كالتصنيع والتجارة والديون الخارجية وحرب الفوائد وانخفاض متوسط دخل الفرد إلى ادنى الحدود في غالبية دول العالم.

رابعاً: الأزمة الأخلاقية العالمية: تميزت الحضارة العالمية الحديثة بأنها سيف ذو حدين؛

حدّ خدم البشرية إلى أبعد الحدود عبر التقدم الهائل في العلوم الطبية مما أنقذ ملايين البشر من الأمراض الفتاكة التي كانت تبيد مدناً كاملة قبل قرن من الزمن، والتطور الكبير في علوم الهندسة الوراثية، وعلوم الذرة ذات الاستخدام المدني، والأجهزة الكمبيوترية والعقول الالكترونية، وغزو الفضاء الخارجي ونزول الإنسان على سطح القمر ومحاولة الوصول إلى الكواكب ومداراتها، واستخدام الاقمار الصناعية في الاتصالات مما جعل الكرة الأرضية ترتبط مع بعضها بسرعة البرق وبذلك قربت المسافات الجغرافية بين القارات والمحيطات وجعلت الإنسان في أقصى شمال الكرة الأرضية يسمع صوت الإنسان في جنوب الكرة الأرضية في ثوانٍ معدودة.

والحد الآخر من الحضارة العالمية الحديثة، وهو الحد القتال، والمتمثل بإشاعة الالحاد والانحلال الخلقي والفساد الاجتماعي والتفكيك العائلي، وانتشار امواج الهلوسة كالهيبيز والبانك والتعرّي، ومحاربة مكارم الأخلاق والحضارات والقيم الإنسانية النبيلة والثقافات القائمة على أساس الشرائع الإلهية والأديان السماوية، وتخريب الوعي الصحيح والاستقلال الحضاري لدول العالم الثالث، وتحريك الفتن والدسائس والبغضاء والجهل والحقد لدى المجتمعات الإنسانية، من خلال الأفلام السينمائية والقصص المشحونة بالحقد والمسرحيات الهابطة.

إنّ العالم المعاصر عاش في السنوات الأخيرة وهو يبحث عن الخلاص من الثقافات الطفيلية، وقد جاءت الثورة الإسلامية في إيران لتعيد الروابط الاجتماعية الدولية إلى عهود الازدهار، وتدعو إلى إلغاء الهيمنة الثقافية الغربية، وتؤكد الهوية الثقافية لشعوب العالم الثالث، لأن هذه الهوية تساهم بشكل كبير في تحرير الشعوب، وشنت حرباً على القيم المفروضة من الخارج والبعيدة عن عقيدة الشعب وتراثه الديني.

[1] آراء الجمهورية الإسلامية الإيرانية حول القضايا العالمية/ ص 9 . 12.

الذين يتابعون رؤية آية الله الخامنئي للعلائق الدولية الجديدة يشعرون بالدور النشاط الذي تقو به الجمهورية الإسلامية في إيران في مجال التعامل مع الدول الأوروبية، ويبدو لنا أن هذا التعاون سيخفف من حدة التوتر في مختلف مناطق العالم، وفي الوقت نفسه ستجد المجموعة الأوروبية أن نهج سياستها الخارجية المتوازنة يحقق لها مزايا ومكاسب في آسيا وأفريقيا، وسوف يكون لها رأي قوي في حل مشاكل

العالم، أما إذا بقيت المجموعة الأوروبية ظلاً للسياسة الأمريكية فإن مصالحها ستعرض في العديد من الدول إلى مخاطر كبرى، وعلى هذا الأساس يقول آية الله الخامنئي.

(نحن نؤمن بوجود أن تنشط وزارة الخارجية على النطاق العالمي باستثناء إقامة علاقات مع أميركا والكيانات العنصرية في جنوب أفريقيا وفلسطين المحتلة، وقد أوصيت مراراً بمراعاة الحكمة والمصلحة، وقلنا لمسؤوليها انطلقوا وأقيموا العلاقات مع جميع الدول ومع الأنظمة المختلفة، والعقائد المتباينة والأساليب الأخرى، وكان لوزارة الخارجية نشاط كبير في إقامة العلاقات مع الدول الأوروبية، وأنا أسأل أنه بالرغم من إقامة علاقات ودية مع الكثير من الدول الأوروبية وبالرغم من التعامل المستمر معها فهل تعاملت هذه الدول معنا ذلك التعامل المتوقع؟ إن تعاملها لم يكن كذلك، لأن أميركا تؤثر عليها بشكل كبير)[1](!)

لقد سعت الدول الأوروبية منذ بداية الستينات إلى انتهاج سياسة تنبع من مصالحها الذاتية، وبعيدة عن السياسة الأمريكية، وتجلى ذلك عبر تنفيذ الجنرال شارل ديغول لتلك السياسة المتوازنة وإقامته محور باريس - بون، من أجل صياغة سياسة أوروبية موحدة، ولكن سياسة ديغول اصطدمت بالاستراتيجية الأمريكية الهادفة إلى جعل الدول الأوروبية جرمًا صغيراً يدور في الفلك الأميركي.

واصطفت المجموعة الأوروبية إلى جانب الولايات المتحدة الأمريكية في عدائها للثورة الإسلامية منذ الأيام الأولى لانتصارها، وفرضت حصاراً اقتصادياً على الشعب الإيراني، وساندت المجموعات الإرهابية في محاولة لتصدير الثورة المضادة، وإرجاع إيران إلى عهد التبعية والذل والسيطرة الأجنبية.

واتجهت كل من بريطانيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا نحو سياسة المحاور في الشرق الأوسط وأفريقيا، وطرحن نفسها في مواجهة التيارات الإسلامية الثورية بشكل صدامي ومباشر وعززت دعمها العسكري والاقتصادي والسياسي للنظام الحاكم في بغداد أثناء حربه ضد الجمهورية الإسلامية في إيران، كما أرسلت وحدات عسكرية إلى لبنان لمشاركة القوة البحرية الأمريكية التي جاءت لدعم الغزو الإسرائيلي للأراضي اللبنانية.

لقد عادت سياسة المحاور على المجموعة الأوروبية بمخاطر عديدة فتعرضت مصالحها وسفاراتها ودبلوماسيها لضربات موجعة، وتورط الجيش الفرنسي في أزمة معقدة في لبنان مثلما تعرض الاقتصاد الفرنسي لنزيف حاد بسبب الديون المترتبة على العراق ووصلت إلى (8/6) مليار دولار أميركي.

وإزاء المشاكل العديدة التي واجهتها السياسة الأوروبية في الشرق الأوسط نتيجة التصاقها بالسياسة الأمريكية عدلت سياستها الشرق أوسطية واتجهت نحو خط وسط وبناء علاقات ثنائية مع الدول التي كانت تنصب لها العداء وأرسلت كل من فرنسا وألمانيا وإيطاليا وبريطانيا كبار مسؤوليها إلى طهران، في محاولة لتحسين الروابط الثنائية وإقامة علاقات متكافئة على الصعد الاقتصادية والسياسية والعلمية.

وأثناء زيارة وزير خارجية فرنسا إلى طهران صرح الدكتور علي أكبر ولايتي قائلاً: (أن الجمهورية الإسلامية في إيران ترى عدم وجود عوائق تحول دون تحسّن علائقها باي دولة لا تتبنى ايديولوجية العدوان، وسوف تكون علائقنا مع دول المجموعة الأوروبية متميزةً في حالة تفهمها وتأييدها للحق المشروع للشعب الفلسطيني، وإن المجال مفتوح للتعاون السياسي والاقتصادي مع جميع الدول ولكنها تريد مقابل ذلك مواقف أوروبية عملية من أجل دعم الشعب الفلسطيني).

وبعد الحوادث السوفيتية الداخلية ونبد الايديولوجية الشيوعية، وعلان القيادة السوفيتية عن انتهاء الحرب الباردة بين الشرق والغرب، بعد تلك الأمور خطت المجموعة الأوروبية خطوات سريعة من أجل إيجاد أوروبا الموحدة والقوية اقتصادياً، واصطدمت المجموعة الأوروبية مع الولايات المتحدة الأمريكية في أول تحدٍ لها عندما قدمت احتجاجاً صارخاً ضد الضغوط المتزايدة لفرض اجراءات الحماية التجارية داخل الولايات المتحدة، ورفضت القرار الأمريكي القاضي بفرض قيود صارمة على تصدير السلع التي يمكن أن تكون ذات استعمال استراتيجي للدول الأوروبية، وأخذت تطالب بدور فعال لها في حل المشاكل العالمية، وتطالب بإيجاد الحلول الجدية للمشكلة الفلسطينية، لأن الانحياز الأميركي تجاه العدو الإسرائيلي يعرقل اي خطوة نحو الحل الصحيح.

ومن وجهة نظر الجمهورية الإسلامية فإن الحل الواقعي والصحيح هو مواصلة الكفاح المسلح، واستمرار الانتفاضة بزخمها القوي من أجل تحرير كامل فلسطين من الاحتلال الاستيطاني الصهيوني.

إنّ تحقيق المطالب المشروعة للشعب الفلسطيني يتسنى من خلال مواصلة الكفاح ضد الهيمنة الأمريكية والغزو الصهيونية بشتى الأساليب، وتعزيز وحدة القوى الثورية في منطقة الشرق الأوسط وبناء تحالف استراتيجي بين أبناء فلسطين ومليار مسلم، وهذا التحالف بإمكانه تحقيق تغيير جوهري في موازين القوى على صعيد المنطقة العربية وعلى صعيد العالم.

إنّ الإدارة الأمريكية بزعامة جورج بوش تقوم باتخاذ خطوات سريعة على مختلف الصعد السياسية والاقتصادية والعسكرية في المناطق المهمة من العالم لتعزيز تفردا بالسيطرة على الشعوب ومواردها الطبيعية، وحسم مسألة الصراع العربي - الإسرائيلي نهائياً لصالح الهيمنة الأمريكية والمصالح الصهيونية في العالم، وعلى هذا الأساس سعت إلى أبعاد دول السوق الأوروبية المشتركة من المساهمة في الحلّ العادل للشعب الفلسطيني، ويعتقد خبراء الاستراتيجية في العالم، إن هذا الإبعاد سيعمق الخلافات التاريخية والنبوية بين المجتمعين الأوروبي والأمريكي.

إنّ الدور المهم الذي لعبته بعض دول أوروبا الغربية في إقامة إسرائيل على أرض فلسطين قد بدأ ينعكس على شكل شعور بالذنب تجاه مأساة الشعب الفلسطيني، وإزاء الممارسات اللاإنسانية التي يقوم بها جنود الاحتلال ضد شبان الانتفاضة وضد المدنيين الأبرياء فإن الأوساط الفكرية والشعبية والسياسية في المجتمعات الأوروبية أخذت تتعاطف بشكل كبير مع تطلعات الشعب الفلسطيني في إقامة دولته، وبإمكانه هذا التحول الخطير في المسلك الأوروبي أن يؤدي إلى إقامة تعاون حقيقي بين الدول العربية والإسلامية من جهة ودول أوروبا من جهة أخرى، وأن هذا التعاون سيقود إلى الاعتراف الأوروبي الشامل بحق أبناء فلسطين في العودة إلى دولتهم المستقلة.

إنّ معالم الإرادة الأوروبية بدأت تظهر من خلال القمم الأوروبية والهادفة إلى الحد من أثر الإدارة الأمريكية التي تسعى إلى التحكم بالعالم منفردة، ويبدو أن الدول الأوروبية بدأت من مطلع التسعينات تعمل جاهدة على توظيف كل امكانياتها الاقتصادية والسياسية والتقنية لتعزيز شؤون تنميتها الذاتية، وتوحيد قرارها السياسي والاقتصادي وإقامة جسور متبادلة مع الدول العربية والإسلامية.

[1] جريدة اطلاعات المسائية . 1990/5/2 . خطاب آية الله الخامنئي بمناسبة عيد العمال العالمي.

الاستراتيجية العامة للإدارة الأميركية تسعى إلى فرض الهيمنة السياسية والاقتصادية على العالم. واستعادة المواقع التي فقدتها نتيجة لانبثاق الثورات التحريرية، وإعادة البلدان المستقلة إلى أوضاعها الاستعمارية السابقة من خلال دعم قوى الثورة المضادة ومساندتها بكل الوسائل، وحيثما كانت قوى الثورة المضادة فهي تدعم المنظمات الإرهابية في الجمهورية الإسلامية الإيرانية في المنطقة الخليجية مثلما تدعم قوى الثورة المضادة في نيكاراغوا في أميركا الوسطى.

وعندما تعجز قوى الثورة المضادة عن تحقيق أهداف السياسة الأمريكية فإن الإدارة الأمريكية تدخل في صدام مباشر ضد الأنظمة الثورية، ومن هنا شنت الطائرات الحربية الأمريكية غارات جوية على مدينتي بنغازي وطرابلس وقامت البحرية الأمريكية بتلغيم شواطئ نيكاراغوا وفرضت حصاراً عليها مما تسبب في إلحاق ضرر مباشر بالتجارة الدولية، وانوى على اخلال واضح بالقانون الدولي.

وفي هذا السياق، يقول آية الله الخامنئي:

(وضع أميركا اللاتينية يستوجب بسبب واحد على الأقل اهتماماً فورياً من كتلة عدم الانحياز، قرار محكمة لاهاي الأخير القاضي بإدانة الإجراءات الأمريكية غير القانونية في دعم العناصر المعادية للثورة في نيكاراغوا، ورد الفعل الأمريكي تجاه هذا القرار يوضح أكثر من ذي قبل أن المعايير والمقررات الدولية تتعرض بشكل لم يسبق له نظير لهجوم الأقوياء، ويوضح أيضاً أن المؤسسات والمحافل الدولية تحوز على الاحترام ما دامت مستخرة لأن تخدم خدمة لأحد لها مصالح المتجبرين، وأخيراً تشكل شهادة على أن حركة عدم الانحياز مضطرة لان تواجه الأقوياء. واتخاذ عملية لمساندة البلدان غير المنحازة ضرورة لا يمكن إنكارها والحركة ملزمة بالنهوض للدفاع عملياً عن نيكاراغوا الثورية.

إنّ رفض قرار محكمة لاهاي من جانب أميركا من جهة، وادعاء هذا البلد مكافحته للإرهاب من جهة أخرى يشكلان صورة مضحكة للغاية، وعلى المستوى العملي لا يشاهد. طبعاً. أي تناقض بين السياستين، فمشروع ريغان لمكافحة الإرهاب يعني المشروع الأمريكي لقمع حركات التحرر وبلدان عدم الانحياز، اعتداء أميركا على ليبيا ونيكاراغوا أفضل دليل على هذا الادعاء[1]

ويقول أيضاً:

(إن أميركا قد استخدمت أجهزتها الجاسوسية في أفريقيا وأميركا اللاتينية والشرق الأوسط وآسيا للتآمر وإسقاط الأنظمة المعادية لها، وكذلك فإن الإدارة الأمريكية منمكة بمهاجمة الشعوب، ونهب خيراتها وإشاعة الفساد في العالم، وتضليل الشعوب المختلفة خاصة الشعب الأمريكي نفسه، وأن عداء مثل هذه الحكومات والأنظمة القمعية للثورة الإسلامية يثبت لذوي العقول النيرة حقانية الجمهورية الإسلامية)[2]

إن الولايات المتحدة الأمريكية تحولت من دولة إلى تنظيم إرهابي عالمي لا يخضع لقانون، وقام جهاز استخباراتها المركزية بتشكيل جماعات إرهابية وتدريبها ودعمها في مختلف مناطق العالم لاغتيال زعماء وطنيين، وتفجير سيارات في المناطق العامة، وتنفيذ انقلابات عسكرية.

وضمن هذا السياق ذكرت صحيفة الواشنطن بوست الأمريكية قيام جهاز المخابرات الأمريكية بتفجير سيارة مفخخة في الثامن من آذار عام 1985 بجوار المسجد الذي يصلي فيه آية الله السيد محمد حسين فضل الله في بيروت، وراح ضحيتها ثمانون قتيلاً وأكثر من مئتي جريح، وقد نالت الجمهورية الإسلامية الإيرانية أكبر حصة من الإرهاب الرسمي الأمريكي، وسوف نستعرض قسماً من الإرهاب والحرب النفسية والإعلامية التي مارستها الإدارة الأمريكية ضد ثورة الشعب الإيراني.

لقد بدأ الإرهاب الأمريكي مع تصاعد موجة الاحتجاج الشعبي ضد الشاه خلال عام 1978، ففي تلك الأيام الملتهبة شهد المكتب البيضاوي في البيت الأبيض جلسات مطولة لإفشال الثورة الشعبية ومنع سقوط الامبراطورية الشاهنشاهية، وضمت تلك الجلسات الرئيس الأمريكي جيمي كارتر ونائبه والترمونديل وزبيغينيو برجينسكي مستشار الرئيس لشؤون الأمن القومي وجورد براون وزير الحرب وسايروس فانس وزير الخارجية.

وعلق غاري سيك مستشار كارتر للشؤون الإيرانية على تلك الجلسات في كتابه (كل شيء ينهار) قائلاً: (إن الإدارة الأمريكية ظلت مشغولة طيلة عام كامل بالحوادث الإيرانية الداخلية، وتقديم أنواع المشورة والدعم لحكومة الشاه من أجل عدم انهيارها ومنع وصول آية الله الخميني إلى الحكم.

وعندما وصل الإمام الخميني إلى طهران اعدت واشنطن الخيارات الآتية:

1. تشجيع العسكريين الإيرانيين على الوقوف خلف الشاه وتأييد حكومة بختیار.

2. في حال انهيار النظام فإن مسؤولية إعادة الأمن تقع على الجيش الشاهنشاهي.

3. القيام بعمل عسكري أمريكي لمسك زمام الأمور والحيلولة دون قيام نظام ثوري.

وفي المقابل، وضعت القيادة الإسلامية خطة عاجلة للاسراع في الإطاحة بالنظام الشاهنشاهي وإفشال الخطط الأمريكية. وفي يوم 11 شباط عام 1979 سمع العالم بأنباء سقوط الإمبراطورية الشاهنشاهية وانبثاق الحكم الثوري الجديد. ان انتصار الثورة في إيران كان بمثابة الزلزال السياسي الذي هز العالم من الأعمال، وقد اعتبرته واشنطن نكسة كبرى لسياستها فاقت نكسة سقوط (سايعون) وسعت إلى إسقاط الثورة عبر التآمر، فحركت العناصر المرتبطة بشبكة مصالحها في إيران لتنفيذ انقلاب مضاد على غرار الانقلاب المضاد الذي نفذته العناصر الرجعية وأطاح بحكومة الدكتور محمد مصدق في تموز عام 1953. ولكن الشعب الإيراني وقيادته حققا انتصارات كبرى على الشبكات العميلة مثلما حققا الانتصار على أضخم آلة عسكرية وأشدّها شراسة وهي الآلة العسكرية الشاهنشاهية.

وفي نيسان عام 1980 قامت الإدارة الأمريكية باستعراض القوة العسكرية لتهيئة الأجواء لأدواتها المحلية وبقايا الجيش الشاهنشاهي للإطاحة بالحكم الثوري، وأرسلت عدة طائرات حربية ذات تقنية عالية لضرب العاصمة طهران، غير أن تلك الطائرات تحطمت في صحراء طبس وظهر الرئيس الأمريكي جيمي كارتر على شاشات التلفزيون وعيناه مغرورقتان بالدموع ليعلن فشل التدخل العسكري الأمريكي في إيران.

لقد أحدثت الهزيمة العسكرية الفاشلة على إيران ردود فعل في العالم بأسره وكشفت عن جوهر السياسة الأمريكية المعادية للشعوب المستقلة، وكتبت وسائل الاعلام التقديمية مئات الدراسات والمقالات عنها، واعتبرتها عملاً حقيقياً من أعمال الحرب ضد أكثر قيم الحضارة، وتدنيساً للمقدسات والقيم الإنسانية.

ولجأت الإدارة الأمريكية إلى ممارسة مزيد من الضغوط على الدول الصناعية الكبرى لحملها على إدخال ممارسة جديدة في مجال الروابط الاقتصادية المعاصرة تمثلت بفرض حصار اقتصادي دولي على الشعب الإيراني، وجمدت الأرصدّة الإيرانية في البنوك الأمريكية والتي تقدر بحوالي عشرة آلاف مليون دولار.

واستخدمت الإدارة الأمريكية قبضتها الحديدية في مواجهة حقوق الشعب الإيراني خلال عامي 1987، 1988 فنفذ البنتاغون سلسلة من الاعتداءات ضد المصالح الاقتصادية الإيرانية، وقامت إحدى البواج

التابعة للأسطول السابع الأمريكي باطلاق صاروخ على طائرة مدينة كانت تعبر مياه الخليج متجهة نحو إمارة دبي، وراح ضحية الحادث ثلاثمائة شخص، ويصف وزير الدفاع الأمريكي الأسبق كاسبر واينبرغر في كتابه (الكفاح من أجل السلام) تلك العمليات الإرهابية بأنها من أنجح العمليات العسكرية لوزارة الدفاع الأمريكية، وأنها استهدفت تقديم الدعم للعراق وتعميق الرابطة العراقية . الأمريكية وتهيئة الأجواء للجيش الإيراني للاطاحة بالنظام الإيراني الذي يعارض السياسة الأمريكية منذ عام 1979.

وعلى الطرف المقابل تصدّت الطائرات الحربية الإيرانية للطائرات الأمريكية وأسقطت بعضاً منها، واعطى هذا التصدي قوة دفع كبيرة للرأي العام الدولي من أجل مقاومة المخططات العدوانية الأمريكية واحباطها واشاع روح الاعتزاز لدى مليار مسلم ولدى شعوب دول العالم الثالث وقادتها، وبنفس المستوى من التصدي للابتزاز الأمريكي جند آية الله الخامنئي فكره وقلمه فهو يقول:

(إنّ أميركا تتحدث الآن مع شعوب العالم الثالث وحتى مع الشعوب الغنية بلهجة استعلائية، وأن تلك الشعوب لا تستطيع بغير إرادتها. كما أن اللهجة التي تتحدث بها أميركا مع الاتحاد السوفيتي وأوروبا هي ذات اللهجة، فكيف بدول العالم الثالث وأفريقيا وآسيا.

وللأسف فإن الحكام يصدّقون ذلك أيضا في حين لو اتحدت عشر من الدول الفقيرة فقط . وليس الغنية منها . في العالم واتخذت قراراً بعدم الخوف من أميركا وتركها وشأنها وعدم الرضوخ لابتزازها وعدم السماح لها باستغلالها عسكرياً واقتصادياً عندئذ تضطر أميركا إلى التراجع، وليست أميركا فقط بل إن بوسعها أن ترغم الجناح المستكبر في العالم على الانسحاب. والدليل الواضح على هذا الأمر هو أن كلما انفجرت ثورة في تلكم الدول الفقيرة وأخذت حكومة بمقاليد السلطة وأبت دفع الاتاوي لأميركا استنفرت الحكومة الأمريكية جميع قواتها للقضاء على تلك الحكومة، وحاولت الآتيان بحكومة موالية لها، لأنها تهاب الحكومة الثورية، وحتى لو كانت في أميركا اللاتينية أو في أقصى أفريقيا، لأنها تعلم بعدم استطاعة ضمان مصالحها.

ففي نيكاراغوا وبالرغم من أنها دولة فقيرة وصغيرة جداً ونفوسها قليلة ولها مصادر مالية ضعيفة للغاية أغدقت أميركا المال لأعداء الثورة ومارست الضغوط عليها من كل جانب لإجبارها على التنحي.

والدليل البارز الآخر على أن أميركا وخلفاً لما تدعيه فإنها ليست قوية هو أنها تحبذ استعراض القوة في الكثير من المناطق ولكنها غير قادرة على استعمال قوتها العسكرية إلا في المناطق التي في متناول قدرتها مثل بنما.

إن أميركا لو كانت قادرة على استخدام القوة في دول ثورية أخرى مثل كوبا التي تبغضها وتستاء منها لفعلت، ولكنها لا تستطيع، ولو استطاعت أن تفرض أراداتها على دول أخرى تعارض السياسة الأمريكية لما تأخرت.

إنّ الحكومة الأمريكية لا تفكر بالقضايا الإنسانية ولا بالقوانين الدولية، ولا تكن أي احترام لحقوق الشعوب، فإذا دخلت بلداً قضت على حكومته دون الاهتمام بحقوق شعبه، أنها تفعل ذلك أينما استطاعت.

هذا هو واقع القوة الأمريكية، فعندما لا تفعل شيئاً في مكانٍ فالسبب هو عدم قدرتها، والنموذج البارز لهذا الأمر هو بلدنا الثوري. لقد أردوا الهجوم علينا عسكرياً ولكنهم لم يفلحوا ففي قضية طبس جاءوا ولكنهم فشلوا، وإذا كانوا قادرين لاتوا عشرات المرات، فقد أردوا أن الهزيمة ستكون من نصيبهم. في تلك اللحظات التي ظنوا أنهم قادرون لم يلاحظوا أن ما يقدمون عليه يتنافى مع حقوق الشعب الإيراني، ويتعارض مع الموثيق والاعراف الدولية. فقيام عدة طائرات من بلد في أقصى العالم بدخول أراضي بلد من الجانب الآخر للعالم هو نقض لكل الموثيق العالمية.

إنّ أميركا لو كان بإمكانها القضاء على نظام الجمهورية الإسلامية خلال هذه السنوات الإحدى عشرة الماضية لما تأخرت عن هذا الأمر، ولكنها لم تتمكن من تحقيقه.

الأميريكان لا يؤمنون بالمبادئ والحقوق الدولية، فالحكومة الأمريكية هي الحكومة التي اصدر ضابطها أمراً بفتح النار وأصاب طائرة الركاب الإيرانية وعلى متنها مئات المسافرين، والحكومة الأمريكية لم تحاكم هذا الضابط بل قلده الرئيس الأمريكي وسام الجدارة، وعلى هذا الأساس فأنا أعارض اجراء المحادثات مع أميركا.

وحكومة الجمهورية الإسلامية لا يمكنها أن تفعل ذلك دون إذن مني، وهي أساساً تعارض هذه المبادرة. [3]

إنّ السياسة العدوانية الأميركية بدأت تلقي مقاومة متزايدة من القوى الديمقراطية داخل الولايات المتحدة ومن قبل طلاب الجامعات والعمال، وحتى من الطبقة الحاكمة نفسها ففي كتابة (إنهم يجرؤون على الكلام) يقول السناتور السابق بول فندلي ما نصه: (إنّ كل من يحاول أن يفضل المصلحة القومية لأميركا على مصلحة إسرائيل يتعرض للابتزاز والتشويه والتعريض، سواء داخل الكونغرس أو من قبل الصحافة، فهناك أكثر من عشرين سناتوراً انتقدوا السياسة الأميركية وتعرضوا لحمالات تشويه بشعة).

[1] آراء الجمهورية الإسلامية الإيرانية حول القضايا العالمية/ ص 37 . 38.

[2] من حديث لآية الله الخامنئي في حشد من أهالي مشهد، منشور في صحيفة كيهان تاريخ 29 آذار 1990.

[3] من حديث لآية الله الخامنئي منشور بصحيفة كيهان تاريخ 3 . 5 . 1990.

مع بداية عقد التسعينات انتهى عصر التوازن بين المعسكرين الرأسمالي والاشتراكي، بسبب تحلّي الاتحاد السوفيتي عن الايديولوجية الشيوعية، وقيامه بحل الحزب الشيوعي الذي كان ايديولوجيته هي الوثاق الذي شد الاتحاد السوفيتي إلى حلفائه في مجموعة دول شرق أوروبا، وجعل تلك الدول تتوحد في مواقفها وتنسق الاتجاهات والالتزام المشترك بعناصر استراتيجية دولية واحدة طويلة نصف قرن من الزمن.

إنّ تحلّي الاتحاد السوفيتي ومجموعة دول أوروبا الشرقية عن الايديولوجية الشيوعية يعود إلى تراكم المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وقد وجدت القيادة السوفيتية أنها أمام طريق مسدود لأن النظرية الشيوعية القائمة على الإلحاد تتناقض مع فتوحات العقل البشري، وخلقت مجتمعاً فوضوياً، وبشت اليأس في حياة الناس.

إنّ المشاكل التي واجهت الاتحاد السوفيتي هي نفسها التي تواجهها الولايات المتحدة الأمريكية فالنظام الرأسمالي يشيع سلوك التمييز العنصري داخل الولايات المتحدة ويحطّم القيم السائدة في المجتمع وداخل الأسرة الأمريكية، ويفرز طبقة غنية مترفة وطبقة فقيرة معدومة، وتقوم نظريته الفكرية على أساس الاستعلاء الغربي والنظرة إلى الشعوب الأخرى على أنها الأقل في سلم الحضارة، وعلى هذا الأساس يجب استعمارها والاستئثار بمواردها الاقتصادية والطبيعية، وتشويه وعيها وعلائقها الإنسانية.

إنّ الولايات المتحدة برغم التقدم التكنولوجي تزداد فيها الأزمات الاقتصادية وتتفاقم فيها مشاكل الجريمة والبطالة والأمراض النفسية، وتشير الإحصاءات الاقتصادية الدولية إلى ارتفاع التضخم في أميركا، حيث وصل عام 1989، إلى معدل قدره (6%) في حين كان (2/8%) في عام 1983، وارتفع معدل البطالة بصورة لم يسبق لها مثيل حيث بلغ عدد الفقراء حسب الإحصاءات الحكومية (34) مليون شخص، أما الدين العام فقد وصل إلى رقم خيالي هو ألفي مليار دولار، وتبلغ تكاليف خدمة هذا الدين حوالي مئة وأربعين مليار دولار.

ويعلق السيد ملياكيس روهاتين وهو أحد كبار المصرفيين الأميركيين على السياسة الاقتصادية لبلاده قائلاً: (إن عجز ميزانية الاتحاد الفيدرالي الأمريكي تزيد من الدين القومي بسرعة تعادل ضعف سرعة نمو الناتج القومي الاجمالي، وهذا هو الطريق المؤكد للافلاس القومي. إنّ الولايات المتحدة تشجّع المضاربة بدلاً من تشجيعها الاستثمار إنها تشتري الازدهار الموقت في مقابل حرمان بقية العالم من رؤوس الأموال التي يحتاج إليها بشدة، إنها تززع بذلك النظام النقدي الدولي).

إنّ الأزمات والتناقضات تزداد حدة يوماً بعد يوم داخل المجتمع الأمريكي، وهذه التناقضات إمّا أن تنفجر وتفرض شكلاً ونظاماً جديداً كما حصل مرات عديدة عبر التاريخ وأما أن يتخلى النظام عن مرتكزاته الأيديولوجية التي قام عليها مثلما تخلى الاتحاد السوفيتي عن آيديولوجية الشيوعية، وعلى هذا الأساس يتنبأ آية الله الخامنئي بتآكل القوة الأمريكية من الداخل ويقول:

(إنّ مواطن الضعف ماثلة في هذه القوة العظمى المزعومة، وأنها ستآكل من الداخل بفعل تناقضاتها الداخلية المحمومة).

لقد تنبأ آية الله الخامنئي بانتهاء عصر التمييز العنصري في جنوب أفريقيا وصدقت نبوءته.

وتنبأ الإمام الثائر السيد الخميني بانتهاء الماركسية وانحلال الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي ودول أوروبا الشرقية وصدقت نبوءته.

ويبقى السؤال: كيف سيكون النظام العالمي الجديد؟

فهناك رأي يقول بأن أركان النظام العالمي الجديد سيقوم على محاور خمس هي:

1. محور أندونيسيا . الصين . اليابان . كوريا الموحدة:

وهذا المحور يضم أكبر تجمع بشري في العالم، وسوف يصل عدد سكانه في بداية عام (2000) إلى حوالي ستة مليارات إنسان، وبإمكانه أن يصبح مركزاً للتقدم في مجالات النظام الاجتماعي والإنتاج الصناعي والإبداع التكنولوجي.

2. محور لندن . بون . باريس:

وهذا المحور سيضم أوروبا الموحدة سياسياً واقتصادياً، وقد بدأت معالم هذا المحور تتضح عبر السوق الأوروبية المشتركة، وعبر البرلمان الأوروبي الموحد، وعبر العملة الأوروبية الموحدة، وتؤكد بيانات قمة السوق الأوروبية المشتركة على أمر مهم وهو أن الوقت قد حان لكي تبدي فيه أوروبا وجهة نظرها بشجاعة حيال مشاكل العالم.

كما أن المجتمع الأوروبي بدأ يتمرد على الظلم والعدوان اللذين تمارسهما الرأسمالية والشركات الاحتكارية على المجتمع الدولي، ويطالب بإقامة نظام أوروبي يربطه بفكر روجي قوي، ويبعد عنه التهافت على المادة، والذي سلب منه المثل الأخلاقية وجعله غارقاً في الشاؤم والفوضى واليأس.

3. المحور الأمريكي . الكندي وامتداداته في أميركا الوسطى وحوض الكاريبي وأمريكا اللاتينية:

وفي حال تخلّص هذا المحور من شبح الرأسمالية فإن بإمكانه التزواج بين التكنولوجيا المتقدمة في الولايات المتحدة الأمريكية وكندا، والأدب الحي والفكر الثوري والثقافة الإبداعية في أمريكا اللاتينية، وأن يساهم في وقف الانحطاط الثقافي والفكري في الولايات المتحدة، مثلما بإمكانه المساهمة في

القضاء على الفقر والحرمان والجوع لدى دول حوض الكاريبي ودول أميركا اللاتينية، وأن ينهي مشاكل الديون الخارجية التي بلغت ارقاماً خيالية زادت على الخمسمئة مليار دولار.

4. محور روسيا وامتداداته في الجمهوريات السوفيتية التي انفصلت وأقامت دولاً مستقلة:

ويبدو أن هذا المحور لم تتضح معالمه بعد، بسبب عدم تبلور الاتجاهات الفكرية والسياسية الجديدة بعد إنهاء دور الحزب الشيوعي والاستغناء عن الفكر الماركسي الذي سيطر على الاتحاد السوفيتي أكثر من سبعين عاماً.

5. محور طهران . الرياض . دمشق . القاهرة:

ويضم هذا المحور الوطن العربي والعالم الإسلامي والدول النامية في أفريقيا وآسيا، وبإمكان هذا المحور بحضارته العالمية وثقافته الإيمانية وموارده الطبيعية أن يحقق النظام الاجتماعي العادل، ويشيع أجواء الفضائل التي تهذب الكائن الإنساني، وأن يبني حواراً مع المحاور الأربعة الأخرى.

فالحضارة الإسلامية وُلدت عالمية الاتجاه وخلقت أمة قادرة على التعاون وعلى الأخذ والعطاء، وكانت تشارك الأمم عبر القرون الماضية في المجالات الاقتصادية والفكرية والسياسية. وقد أنجزت الحضارة الإسلامية فتوحات كبرى في مجالات الطب والفلسفة والفلك والرياضيات والهندسة المعمارية والفنون المختلفة، وحثت على طلب العلم والمعرفة في كل العصور، ومازالت اللوحات محفورة منذ ألف عام على بوابات المدارس في مختلف مدن العالم، داعيةً الناس إلى طلب العلم، وتوجد على بوابة مدرسة أولوج بك في طشقند لوحة محفورة مكتوب عليها (على كل مسلم رجلاً أو امرأة أن يسعى إلى المعرفة). وثمة مدرسة في الصين مكتوب على بابها (أطلب العلم من المهد إلى اللحد) وعلى مدارس الاندلس (طلب العلم فريضة).

وفي الوقت نفسه، فإن بإمكان هذا المحور أن يوظف عوائد النفط والغاز في رفد مختلف جهود البناء والتحرر، وإزالة الظلم الإنساني عن الطبقات والمجتمعات الفقيرة.

وهناك آراء تقول بأن النظام العالمي سيكون متجهاً نحو تشكيل قوى أو معسكرات سياسية واقتصادية على مستوى القارات، وتكون علائقها قائمة على أساس التعاون المشترك ذي الجوانب المختلفة اقتصادياً

وثقافياً وتكنولوجياً وطبيياً، ويكون التعاون قائماً على أنماط جديدة بعيدة عن لغة الاستعمار والتعالي وشن الحروب.

وهناك آراء تقول بأن منظمة الأمم المتحدة مرشحة لإقامه النظام العالمي الجديد، بعد أن تطراً على نظمها إصلاحات كبيرة وتغييرات شاملة، تشمل تركيبة مجلس الأمن، والذي يجب أن تتغير صلاحياته وتتوسع دوائر الدول المشتركة فيه.

أما رأي آية الله الخامني حول مستقبل العالم فينحصر في تعميق العامل الأخلاقي لدى الشعوب فهو يقول:

(إن حركة التاريخ المتجهة نحو تكامل المعنويات الإنسانية تثبت استحالة بقاء البشرية مستنقع الجهالة، فالأخلاق الفاضلة تدفع بالبشرية إلى مكافحة الظلم والاستغلال وكل ما يبعد عن العدالة، وتؤدي إلى إقامة نظام جديد في العلاقات الاجتماعية على قواعد عادلة).

إن آراء آية الله الخامني وأفكاره ونظرياته حول مختلف المشاكل والتي طرحها في كلمته أمام مؤتمر قمة عدم الانحياز في زيمبابوي أو التي يطرحها أمام زائريه من مختلف أنحاء العالم ما تزال تتفاعل بشكل حاد وساخن لدى شعوب العالم الثالث، ولدى المسلمين في العالم، وتشكل لديهم مناهجاً من أجل إقامة نظام دولي جديد بعيد عن الحروب والهيمنة والتسلط والتمييز العنصري والاستيلاء على أراضي تابعة لشعوب عاشت فيها آلاف السنين، وتحت حجج وذرائع تقول بأن التاريخ التوراتي يجب أن يطغى على القانون الدولي وعلى مشاعر البشرية جمعاء، ويسحق شعباً بكامله.

بعون الله تعالى وبحمده استمرت قيادة الثورة الإسلامية في هداية سفينة الحق إلى شواطئ التعالي والكمال والعبور بها من خلال الخضم الهائل من المؤامرات وأنماط الحصار والعقبات الكبرى التي زرعتها أعداء الإسلام في طريقها.

وهكذا تجلت من جديد العناية الإلهية بتعيين آية الله الخامني قائداً أميناً للشعب المسلم ورائداً لانتصاراته الباهرة وراسماً لسياسته الداخلية والخارجية، يقف إلى جانبه أناس مؤمنون يعينونه في هذا المسار الصعب.

فلنتأمل الدروس التي يطرحها هذا الكتاب لنكتشف جوانب رائعة من هذه الشخصية القيادية.

معاونة العلاقات الدولية

في منظمة الإعلام الإسلامي

تعيش البشرية في الوقت الحاضر فترة ما بين عالمين؛ عالم سافر عنا بعد أن عاش نصف قرن من الزمن، وسادت فيه الحرب الباردة بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية، وكانت لحظات السفر تحمل معها انكفاء الاتحاد السوفيتي على نفسه والانسحاب عن دوره المتقدم في السياسة العالمية، ومحاولة الولايات المتحدة فرض نفسها على العالم وإعادة الكرة الأرضية إلى عهد التيه والظلام والعبودية، عبر الاعتداء على حرية المجموعات البشرية، وفرض التحكم في وجودها وجعلها خاضعة سياسياً واقتصادياً وثقافياً للإدارة الأميركية ولشركاتها الكبرى وبنوكها الاحتكارية.

أما العالم الذي تنتظره البشرية فهو عالم الانتصار على الشر والعدوان، عالم يتعد عنه شبح الفناء النووي الذي يهدد الإنسانية جمعاء، عالم يتم فيه القضاء على الجوع والجفاف والمرض. فالجوع وحده أودى بحياة ملايين البشر خلال عقد الثمانينات في أفريقيا، في حين كانت الولايات المتحدة الأمريكية والدول الغنية الأخرى ترمي فائض قمحها في البحر، رافضة إطعام الأفواه الجائعة التي طرق أبوابها الجوع والجفاف والمرض.

إنّ البشرية تقف الآن على شاطئ المستقبل، وهي تحاول معرفة آراء المفكرين والسياسيين العالميين حول طبيعة العلاقات الدولية الجديدة ومن هنا حاولت دراسة رؤى آية الله الخامنئي باعتباره مفكراً وسياسياً عالمياً ويمتلك القدرة الإبداعية على تصور النظام الدولي الجديد.

إنّ هذا الشعاع يحتوي على خطوط واضحة تسعى إلى شرح رؤية آية الله الخامنئي للعلاقات الدولية الجديدة، وتتسم تلك الرؤية بأهمية عظيمة بالنسبة إلى شعوب القارات الخمس، لأنها تساهم في إشعال نور النضال ضد قوى التسلط والعدوان والتوسع الجغرافي والثقافي والاقتصادي والآيديولوجي، وتحاول تعميق التحولات الفكرية والاجتماعية التي يشهدها عالمنا المعاصر وبناء مستقبل وضاء لجميع الشعوب الحرة، وجميع الناس على الأرض.

إنّ رؤى آية الله الخامنّي ترتكز على الآتي:

1. نقل الجمهورية الإسلامية في إيران من التبعية الاقتصادية والسياسية والعسكرية والثقافية إلى الاستقلال التام وجعل إيران الجديدة نموذجاً يقتدى بها في العالم الثالث.

2. تنتقل رؤية آية الله الخامنّي بعد ذلك إلى مشاكل الشرق الأوسط والعالم الإسلامي، وفي مقدمة تلك المشاكل مشكلة فلسطين والتي هي جوهر مشاكل المنطقة وأساسها، فبقاء إسرائيل يعرّض العالم الإسلامي إلى مخاطر أمنية كبرى لذلك ربطت الجمهورية الإسلامية في إيران أمنها القومي بأمن القضية الفلسطينية، وسعت إلى نقل الشرق الأوسط من بؤرة الحرب إلى بر السلام الدائم وأن نيران الحرب لا تنطفئ إلاّ عبر إنهاء الاحتلال الإسرائيلي، ويرى آية الله الخامنّي أن النضال الفلسطيني سيؤدي إلى انبثاق الدولة الفلسطينية المستقلة، ويحقق مطالب الشعب الفلسطيني المشروعة والعدالة، ويهزم المشروع الاستيطاني الصهيوني.

وتستدل رؤية آية الله الخامنّي بإمكانية تحقيق هذا الأمر بالنضال الذي قام به الشعب اللبناني ضد الاحتلال الإسرائيلي والاطلسي لمجمل الأراضي اللبنانية في عام 1982 . 1983. وقد تحول ذلك الاحتلال إلى هزيمة لإسرائيل سياسياً وعسكرياً ومعنوياً. وعلى هذا الأساس فإن بإمكان النضال أن يحقق انتصارات كبرى على مختلف الجبهات وأن يقيم مرة ثانية وطناً للشعب الفلسطيني على كامل ترابه الوطني.

3. من أجل إنهاء الحجج القائلة بأن التاريخ التوراتي يجب أن يطغى على القانون الدولي، سعت الجمهورية الإسلامية في إيران إلى محاصرة المصالح الإسرائيلية في آسيا وأفريقيا، وانبثقت معركة دبلوماسية بين إيران والدول العربية من جهة وإسرائيل وأمريكا من جهة أخرى في العديد من البلدان الأفرو-آسيوية.

4. ركزت رؤية آية الله الخامنّي على التماثل بين الكيان الاستيطاني الإسرائيلي والكيان الاستيطاني في جنوب أفريقيا، وتنبأت بانهيار الانظمة العنصرية، ونادت بالنضال الشامل ضد تلك الأنظمة لأنه يشكل إسهاماً في نضال الإنسانية كلها، ويوطّد الحرية والعدالة والسلام في جميع القارات.

5. تنتقل رؤية آية الله الخامنئي من مشاكل الشرق الأوسط إلى مشاكل كتلة عدم الانحياز والتي تضم أكثر من مئة دولة، وتقوم الرؤية على أساس أن حل تلك المشاكل يتطلب موقفاً إنسانياً وأخلاقياً وحضارياً من قادة عدم الانحياز عبر الابتعاد عن جر بلدانهم إلى مدار السياسة الأمريكية وتحويل أراضيهم ومياهم الإقليمية إلى مسرح دائم للقواعد الأجنبية.

6. تنتقل رؤية آية الله الخامنئي بعد ذلك إلى الآثار السلبية لنظام القطبية الثنائية الذي ساد العالم منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية والذي أقيم على أساس الهيمنة والتسلط، والتحفيز على سباق التسلح، وتضعيد الخطر على السلام في العالم بأسره من خلال الحروب الإقليمية والأهلية التي اندلعت في آسيا وأفريقيا وأميركا اللاتينية، وعبر تدهور الاقتصاد والتجارة الدولية، وعبر موجات التحلل الأخلاقي.

7. بعد انهيار سلطة الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي وانتهاء نظام القطبية الثنائية في العالم، ترى نظرية آية الله الخامنئي ان النظام الدولي القائم على أساس القطب الواحد سوف يوجب خطر الكارثة في العالم ويؤدي بالإنسانية إلى الهلاك الشامل، وعلى هذا الأساس يتنبأ آية الله الخامنئي بحدوث هزة داخلية كبرى في الولايات المتحدة على غرار الهزة السياسية السوفيتية، وسوف تزيل النظام الرأسمالي من جذوره مثلما أزلت الهزة السوفيتية النظام الشيوعي من جذوره.

8. لم تغفل رؤية آية الله الخامنئي دور الإعلام في العالم، وطالبت أصحاب الفكر والقلم والموقف الشريف بحماية القيم الإيمانية للشعوب والوقوف أمام إعلام الدول الاستعمارية، ونادت بتشكيل جبهة إنسانية سلاحها الكلمة الصادقة ومدادها العلم والحضارة الأصيلة.

9. توضح رؤية آية الله الخامنئي ملامح النظام العالمي الجديد والقائم على أعمدة الحوار المتكافئ والجددي بين العالم الإسلامي وأوروبا الموحدة، وعلى انبثاق محاور عالمية جديدة بعيدة عن التسلط والاحتكار وشن الحروب، وفي طليعة تلك المحاور؛ مشاركة دول عدم الانحياز في إقامة نظام اقتصادي عالمي جديد والقيام بدور أكبر في الحياة السياسية العالمية، وإنهاء المساعي المحمومة للدول الاستعمارية القاضية بتقويض الانجازات التي حققتها البلدان المستقلة والبلدان النامية.

إنّ صاحب النظرية والرؤية يمثل دائرة معارف حضارية حية، فهو فقيه وأصولي ومفسّر للقرآن الكريم وسياسي عالمي، وهو من الرجال الأفاضل.

والرجال الأفذاذ هم القادة الحقيقيون للأمم؛ يصنعون الأحداث بوعي، يطرزون التاريخ بزهور الربيع، يصبحون كواكب في سماء المعالي، يحركون الزمان والمكان، يحركون البشر نحو المركز المضيء، نحو الخير المطلق، نحو خالق الكون، يرسلون أشعة نور بخط مستقيم، لا يعرفون الاعوجاج في الحياة، يزرعون الطمأنينة في قلوب الناس، يجعلون المدن مليئة بأشجار النصر، نظيفة مثل ضفاف الأنهار الزرق.

علي الخامنئي من أولئك الرجال الأفذاذ، تتجلى في كل جزء من فكره أخلاق الأنبياء، وتتجسد في روحه ثورة الإسلام، القنابل أينعت في يديه نخيلاً من الدماء أثمرت رطباً جنياً، أثمرت صموداً رائعاً. غابة الآلام حولها إلى تحد للحكومات الغربية، السماء قبل الأرض اختارت له المقام الأول؛ المقام الذي يأخذ بيد النجوم إلى الفجر، يأخذ بيد الوطن إلى البساتين المخضوضرة؛ بساتين مزهورة بالمجد، مزدهرة بالكلمة، مشعة بالطاقات النابعة من الخصوصية للإسلام.

في غابة السنديان ينسل شذى آية الله الخامنئي، ينساب عبر ذكريات البطولة، لم يكثر لسياط السافاك، لم يخف من الخناجر التي تزاхمت عليه، في السجون المظلمة تفجرت فيه روح المقاومة، كان يقول للجلادين:

أرض إيران مكفنة بالصور الملونة لجنكيزخان، لرضا خان، لمحمد رضا خان، هؤلاء جعلوا الوطن رمالاً وسراباً. سيهدم عرش طغيانكم روح الله، سيكتب الزمن الآتي على شفاه الأجيال، سيكتب اسم النصر على محاريب الجوامع، فوق أكواخ الفلاحين في سواعد الثوار.

آية الله الخامنئي نموذج للأخلاق الفاضلة، جامعة للعطاء، كان من حوارى روح الله، من تلاميذه الذين أضحوا عاصفة خير، عاصفة هبت على دنيا الإسلام، أشعلوا قناديل النصر، أيقظوا ضمير الأمة، جعلوا الفجر ينهض كسرب حمام، استبدلوا الزمن السيئ بزمن الكرامة، زرعوا حقول الأجيال بثياب القرنفل، أعادوا للمصايح المنطفئة أنوارها، أعادوا لثورة الإسلام شعاع الشمس، هدموا قصور المترفين، أشادوا دولة العدل.

آية الله الخامنئي سحابة تسقي الأرواح بمزن الربيع، شلال فكر يمزق حجب الظلام، وظف القلم لصالح الطبقات المحرومة في العالم، ريشة قلمه رسمت لوحات صادقة، مزجت الدم بالفداء كلماته تهتف:

(استعمار اليوم أشد سوءاً من استعمار الأمس، استعمار الأمس كان عسكرياً، واستعمار اليوم أضحى اقتصادياً وسياسياً ونفسياً).

المؤلف